۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ
إِنَّهُمْ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ
﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ
ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ
لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن
تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٞ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارٗا
وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ
ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن
يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرَۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓۗ
أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

(فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ)

قبول و لا انزجار و لا تذكر و ادكار،

إنما كان جوابهم المعارضة و المناقضة و التوعد لنبيهم الناصح و رسولهم الأمين بالإجلاء عن وطنه و التشريد عن بلده.

فما كان جواب قومه ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡ﴾

فكأنه قيل: ما نقمتم منهم و ما ذنبهم الذي أوجب لهم الإخراج،

فقالوا: ﴿إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾

أي: يتنزهون عن اللواط و أدبار الذكور.

فقبحهم الله جعلوا أفضل الحسنات بمنزلة أقبح السيئات،

و لم يكتفوا بمعصيتهم لنبيهم فيما وعظهم به حتى وصلوا إلى إخراجه،

و البلاء موكل بالمنطق فهم قالوا:

﴿أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾

و مفهوم هذا الكلام:

«و أنتم متلوثون بالخبث و القذارة المقتضي لنزول العقوبة بقريتكم و نجاة من خرج منها »

و لهذا قال تعالى:

﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾

***مِنَ الْهَالِكِينَ مَعَ قَوْمِهَا؛

لِأَنَّهَا كَانَتْ رِدْءًا لَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ،

و عَلَى طَرِيقَتِهِمْ فِي رِضَاهَا بِأَفْعَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ،

فَكَانَتْ تَدُلُّ قَوْمَهَا عَلَى ضِيفَانِ لُوطٍ، لِيَأْتُوا إِلَيْهِمْ،

لَا أَنَّهَا كَانَتْ تَفْعَلُ الْفَوَاحِشَ تَكْرِمَةً لِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ لَا كَرَامَةً لها .

❍و ذلك لما جاءته الملائكة في صورة أضياف و سمع بهم قومه

فجاءوا إليه يريدونهم بالشر و أغلق الباب دونهم و اشتد الأمر عليه،

ثم أخبرته الملائكة عن جلية الحال

و أنهم جاءوا لاستنقاذه و إخراجه من بين أظهرهم

و أنهم يريدون إهلاكهم و أن موعدهم الصبح،

و أمروه أن يسري بأهله ليلا إلا امرأته

فإنه سيصيبها ما أصابهم فخرج بأهله ليلا فنجوا و صبحهم العذاب،

فقلب الله عليهم ديارهم و جعل أعلاها أسفلها

و أمطر عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك.

و لهذا قال هنا: (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ)

أي: بئس المطر مطرهم و بئس العذاب عذابهم

لأنهم أُنْذِرُوا و خوفوا فلم ينزجروا و لم يرتدعوا فأحل الله بهم عقابه الشديد.

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

(قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ)

الذي يستحق كمال الحمد و المدح و الثناء لـــــــ:-

كمال أوصافه و جميل معروفه و هباته و عدله

و حكمته في عقوبته المكذبين و تعذيب الظالمين،

(وَسَلَامٌ عَلَىٰ)

و سلم أيضا

(عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ)

تخيرهم و اصطفاهم على العالمين من الأنبياء و المرسلين

و صفوة الله من العالمين،

و ذلك لرفع ذكرهم و تنويها بقدرهم

(وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ)

و سلامتهم من الشر و الأدناس،

و سلامة ما قالوه في ربهم من النقائص و العيوب.

(قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ)

***عَلَى نعَمه عَلَى عِبَادِهِ، مِنَ النِّعَمِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى،
وَ عَلَى مَا اتَّصَفَ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ العُلى وَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى،
وَ أَنْ يُسَلِّم عَلَى عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ وَ اخْتَارَهُمْ،
وَ هُمْ رُسُلُهُ وَ أَنْبِيَاؤُهُ الْكِرَامُ، عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ،
هَكَذَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَ غَيْرُهُ:-
إِنَّ الْمُرَادَ بِعِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى:-هُمُ الْأَنْبِيَاءُ،
قَالَ:وَ هُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[الصَّافَّاتِ: 180 -182]

***وَ قَالَ الثَّوْرِيُّ، وَالسُّدِّيُّ: هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ،
وَ لَا مُنَافَاةَ، فَإِنَّهُمْ إِذَا كَانُوا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ اصْطَفَى،
فَالْأَنْبِيَاءُ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَ الْأَحْرَى،

وَ الْقَصْدُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ رَسُولَهُ وَ مَنِ اتَّبَعَهُ بعد ما ذَكَرَ لَهُمْ مَا فَعَلَ بِأَوْلِيَائِهِ مِنَ النَّجَاةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ،
وَ مَا أَحَلَّ بِأَعْدَائِهِ مِنَ الْخِزْيِ وَ النَّكَالِ وَ الْقَهْرِ،
أَنْ يَحْمَدُوهُ عَلَى جَمِيعِ أَفْعَالِهِ،
وَ أَنْ يُسَلِّمُوا عَلَى عِبَادِهِ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ.

(ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ)

***اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى.

○و هذا استفهام قد تقرر و عرف

أي: الله الرب العظيم كامل الأوصاف عظيم الألطاف

خير أم الأصنام والأوثان التي عبدوها معه،

و هي ناقصة من كل وجه، لا تنفع و لا تضر

و لا تملك لأنفسها و لا لعابديها مثقال ذرة من الخير

فالله خير مما يشركون.

ثم ذكر تفاصيل ما به يعرف و يتعين أنه الإله المعبود

و أن عبادته هي الحق و عبادة ما سواه هي الباطل فقال: –

أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾

(أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ)

و ما فيها من الشمس و القمر و النجوم و الملائكة

(وَٱلۡأَرۡضَ)

و ما فيها من جبال و بحار و أنهار و أشجار و غير ذلك.

(وَأَنزَلَ لَكُم)

أي: لأجلكم

(مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ)

أي: بساتين

(ذَاتَ بَهۡجَةٖ)

أي: حسن منظر من كثرة أشجارها و تنوعها و حسن ثمارها،

(مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ)

لولا منة الله عليكم بإنزال المطر.

(أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ)

فعل هذه الأفعال حتى يعبد معه و يشرك به؟

***فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ وَ هُوَ الْمُسْتَقِلُّ الْمُتَفَرِّدُ بِالْخَلْقِ وَ التَّدْبِيرِ؟

كَمَا قَالَ: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ} [النَّحْلِ: 17] .

(بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ)

به غيره و يسوون به سواه مع علمهم أنه وحده خالق العالم العلوي و السفلي و منزل الرزق.

*** يَجْعَلُونَ لِلَّهِ عِدْلًا وَ نَظِيراً.
وَ هَكَذَا قَالَ تَعَالَى:
{أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ}
[الزُّمَر: 9]
أَيْ: أَمَّنْ هُوَ هَكَذَا كَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ؟
وَ لِهَذَا قَالَ:{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ}[الزُّمَرِ: 9]
{أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ}[الزُّمَرِ: 22]
وَ قَالَ{أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} [الرَّعْدِ: 33]
أَيْ:أَمَنْ هُوَ شَهِيدٌ عَلَى أَفْعَالِ الْخَلْقِ، حَرَكَاتِهِمْ وَ سَكَنَاتِهِمْ،
يَعْلَمُ الْغَيْبَ جَلِيلَهُ وَ حقِيرَهُ،
كَمَنْ هُوَ لَا يَعْلَمُ وَ لَا يَسْمَعُ وَ لَا يُبْصِرُ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَامِ الَّتِي عَبَدُوهَا؟
وَ لِهَذَا قَالَ: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ} [الرَّعْدِ: 33]
وَ هَكَذَا هَذِهِ الآيات الكريمات كلها.

أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

أي: هل الأصنام و الأوثان الناقصة من كل وجه التي لا فعل منها و لا رزق و لا نفع خير أم الله ؟

(أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا)

يستقر عليها العباد و يتمكنون من السكنى و الحرث و البناء و الذهاب

و الإياب.

***قَارَّةً سَاكِنَةً ثَابِتَةً، لَا تَمِيدُ وَ لَا تَتَحَرَّكُ بِأَهْلِهَا وَ لَا تَرْجُفُ بِهِمْ،
فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَمَا طَابَ عَلَيْهَا الْعَيْشُ وَ الْحَيَاةُ،
بَلْ جَعَلَهَا مِنْ فَضْلِهِ وَ رَحْمَتِهِ مِهَادًا بِسَاطًا ثَابِتَةً لَا تَتَزَلْزَلُ وَ لَا تَتَحَرَّكُ،
كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:{اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً}
[غَافِرٍ: 64] .

(وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا)

أي: جعل في خلال الأرض أنهارا ينتفع بها العباد في زروعهم و أشجارهم،

و شربهم و شرب مواشيهم.

(وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ)

أي: جبالا ترسيها و تثبتها لئلا تميد و تكون أوتادا لها لئلا تضطرب.

(وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ)

البحر المالح و البحر العذب

(حَاجِزًاۗ)

يمنع من اختلاطهما فتفوت المنفعة المقصودة من كل منهما

بل جعل بينهما حاجزا من الأرض،

جعل مجرى الأنهار في الأرض مبعدة عن البحار

فيحصل منها مقاصدها و مصالحها،

(أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ)

فعل ذلك حتى يعدل به الله و يشرك به معه.

(بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)

فيشركون بالله تقليدا لرؤسائهم و إلا فلو علموا حق العلم لم يشركوا به شيئا.

أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

(أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ)

أي: هل يجيب المضطرب الذي أقلقته الكروب

و تعسر عليه المطلوب

و اضطر للخلاص مما هو فيه إلا الله وحده؟

(وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ)

و من يكشف السوء أي: البلاء و الشر و النقمة إلا الله وحده؟

***مسند أحمد ط الرسالة

20636 عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَلْهُجَيْمٍ،

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَامَ تَدْعُو؟

قَالَ:أَدْعُو إِلَى اللهِ وَحْدَهُ، الَّذِي إِنْ مَسَّكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ، كَشَفَ عَنْكَ،

وَ الَّذِي إِنْ ضَلَلْتَ بِأَرْضٍ قَفْرٍ دَعَوْتَهُ، رَدَّ عَلَيْكَ،
وَ الَّذِي إِنْ أَصَابَتْكَ سَنَةٌ فَدَعَوْتَهُ، أَنْبَتَ عَلَيْكَ "
قَالَ: قُلْتُ: فَأَوْصِنِي،
قَالَ:لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا،
وَ لَا تَزْهَدَنَّ فِي الْمَعْرُوفِ،
وَ لَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ،
وَ لَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي،
وَ اتَّزِرْ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ،
وَ إِيَّاكَ وَ إِسْبَالَ الْإِزَارِ،فَإِنَّ إِسْبَالَ الْإِزَارِ مِنَ الْمَخِيلَةِ،
وَ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ

(وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ)

يمكنكم منها و يمد لكم بالرزق و يوصل إليكم نعمه

و تكونون خلفاء من قبلكم كما أنه سيميتكم و يأتي بقوم بعدكم

***يُخْلفُ قرنا لِقَرْنٍ قَبْلَهُمْ وخَلَفًا لِسَلَفٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ} [الْأَنْعَامِ: 133]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ} [الْأَنْعَامِ: 165]

وَ قَالَ تَعَالَى:{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرْضِ خَلِيفَةً}
[الْبَقَرَةِ: 30]
أَيْ: قَوْمًا يَخْلُفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَمَا قَدَّمْنَا تَقْرِيرَهُ.

وَ هَكَذَا هَذِهِ الْآيَةُ: {وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ}
أَيْ:أُمَّةً بَعْدَ أُمَّةٍ، وَ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، وَ قَوْمًا بَعْدَ قَوْمٍ.
وَ لَوْ شَاءَ لَأَوْجَدَهُمْ كُلُّهُمْ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ،
وَ لَمْ يَجْعَلْ بعضهم مِنْ ذُرِّيَّةِ بَعْضٍ،
بَلْ لَوْ شَاءَ لَخَلَقَهُمْ كُلَّهُمْ أَجْمَعِينَ، كَمَا خَلَقَ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ.
وَ لَوْ شَاءَ أَنْ يَجْعَلَهُمْ بَعْضَهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ بَعْضٍ
وَ لَكِنْ لَا يُمِيتُ أَحَدًا حَتَّى تَكُونَ وَفَاةُ الْجَمِيعِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ،
فَكَانَتْ تَضِيقُ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ وَ تَضِيقُ عَلَيْهِمْ مَعَايِشُهُمْ وَ أَكْسَابُهُمْ،
وَ يَتَضَرَّرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ.
وَ لَكِنِ اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ وَ قُدْرَتُهُ أَنْ يَخْلُقَهُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ،
ثُمَّ يُكَثِّرَهُمْ غَايَةَ الْكَثْرَةِ، وَ يَذْرَأَهُمْ فِي الْأَرْضِ،
وَ يَجْعَلَهُمْ قُرُونًا بَعْدَ قُرُونٍ، وَ أُمَمًا بَعْدَ أُمَمٍ،
حَتَّى يَنْقَضِيَ الْأَجَلُ وَتَفْرُغَ البَرِية،
كَمَا قَدَّرَ ذَلِكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَ كَمَا أَحْصَاهُمْ وعَدّهم عَدًا،
ثُمَّ يُقِيمُ الْقِيَامَةَ، و يُوفِي كُلَّ عَامِلٍ عمله إذا بلغ الكتاب أَجَلَهُ؛

(أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ)

يفعل هذه الأفعال؟

لا أحد يفعل مع الله شيئا من ذلك حتى بإقراركم أيها المشركون،
*** أَيْ: يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، أَوْ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ يُعْبد،
وَ قَدْ عُلِمَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِفِعْلِ ذَلِكَ
❍و لهذا كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله مخلصين له الدين لعلمهم أنه وحده المقتدر على دفعه و إزالته

(قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ)
***مَا أَقَلَّ تَذَكُّرَهُمْ فِيمَا يُرْشِدُهُمْ إِلَى الْحَقِّ،
وَ يَهْدِيهِمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.
أي: قليل تذكركم و تدبركم للأمور التي إذا تذكرتموها ادَّكرتم
و رجعتم إلى الهدى،
و لكن الغفلة و الإعراض شامل لكم فلذلك ما ارعويتم و لا اهتديتم.

أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا
بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

(أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)
من هو الذي يهديكم حين تكونون في ظلمات البر و البحر،
حيث لا دليل و لا معلم يرى و لا وسيلة إلى النجاة إلا هدايته لكم،
و تيسيره الطريق و جعل ما جعل لكم من الأسباب التي تهتدون بها،
***كَمَا قَالَ: {وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} [النَّحْلِ: 16]
وَ قَالَ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ} الْآيَةَ [الْأَنْعَامِ: 97] .

{وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ}
أي: بين يدي المطر، فيرسلها فتثير السحاب ثم تؤلفه ثم تجمعه ثم تلقحه
ثم تدره، فيستبشر بذلك العباد قبل نزول المطر.

***يُغِيثُ بِهِ عِبَادَهُ الْمُجْدِبِينَ الْأَزِلِينَ الْقَنِطِينَ،

{أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ}

فعل ذلك؟ أم هو وحده الذي انفرد به؟

فلم أشركتم معه غيره و عبدتم سواه؟

{تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}

تعاظم و تنزه و تقدس عن شركهم و تسويتهم به غيره.

أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ
بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ
وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ
هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ
٦٧ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨
قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٦٩
وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ٧٠
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٧١
قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ٧٢
وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٧٣
وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٤
وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٧٥
إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦
أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ
أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤

(أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ)

أي: من هو الذي يبدأ الخلق و ينشئ المخلوقات و يبتدئ خلقها،

ثم يعيد الخلق يوم البعث و النشور؟

***هُوَ الَّذِي بِقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ}

[الْبُرُوجِ: 12، 13] ، وَقَالَ {وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}

[الرُّومِ: 27] .

(وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ)

بالمطر و النبات؟.

(أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ)

يفعل ذلك و يقدر عليه؟

(قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ)

أي: حجتكم و دليلكم على ما قلتم

(إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ)

و إلا فبتقدير أنكم تقولون:-

إن الأصنام لها مشاركة له في شيء من ذلك

فذلك مجرد دعوى صدقوها بالبرهان،

و إلا فاعرفوا أنكم مبطلون لا حجة لكم،

فارجعوا إلى الأدلة اليقينية و البراهين القطعية الدالة على أن الله
هو المتفرد بجميع التصرفات
و أنه المستحق أن تصرف له جميع أنواع العبادات.
***وَ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا حُجَّةَ لَهُمْ وَ لَا بُرْهَانَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ:-
{وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} [المؤمنون: 117]

قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾
بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾
لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾

(قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ)
يخبر تعالى أنه المنفرد بعلم غيب السماوات و الأرض كقوله تعالى:
(وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)
و كقوله:–
(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ)

إلى آخر السورة.

فهذه الغيوب و نحوها اختص الله بعلمها

فلم يعلمها ملك مقرب و لا نبي مرسل،

و إذا كان هو المنفرد بعلم ذلك المحيط علمه بالسرائر و البواطن و الخفايا

فهو الذي لا تنبغي العبادة إلا له،

❍ثم أخبر تعالى عن ضعف علم المكذبين بالآخرة منتقلا من شيء إلى ما هو أبلغ منه فقال:-

(وَمَا يَشْعُرُونَ)

أي:و ما يدرون

(أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)

أي:متى البعث و النشور و القيام من القبور

أي: فلذلك لم يستعدوا

***وَ مَا يَشْعُرُ الْخَلَائِقُ السَّاكِنُونَ فِي السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ بِوَقْتِ السَّاعَةِ،

كَمَا قَالَ:{ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً} [الْأَعْرَافِ: 187]

أَيْ: ثَقُلَ عِلْمُهَا عَلَى أَهْلِ السَّمَوَاتُ وَ الْأَرْضُ.

***صحيح مسلم

177-قَالَتْ عائشة رضى الله عنها:

وَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ ( )بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَ اللهُ يَقُولُ:{قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ} [النمل: 65]،

(بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ)

***بِجَهْلِهِم بِرَبِهِمْ، يَقُولُ:
لَمْ يَنْفُذْ لَهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ عِلْمٌ أَنَّ عِلْمَهُمْ إِنَّمَا يُدرك وَ يَكْمُلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
{أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [مَرْيَمَ: 38]

أي:بل ضعف، و قلَّ و لم يكن يقينا،

و لا علما واصلا إلى القلب

و هذا أقل و أدنى درجة للعلم ضعفه و وهاؤه،

(بَلۡ)

ليس عندهم علم قوي و لا ضعيف

و إنما (هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ)

أي: من الآخرة، و الشك زال به العلم

لأن العلم بجميع مراتبه لا يجامع الشك،

أي النبي ﷺ

20-م02-ص383

(بَلۡ هُم مِّنۡهَا)

أي: من الآخرة

(عَمُونَ)

قد عميت عنها بصائرهم، و لم يكن في قلوبهم من وقوعها

و لا احتمال بل أنكروها و استبعدوها،

***صحيح مسلم

8-قَالَ النبى ﷺ:

فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ جبريل عليه السلام:

«مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»

***تَسَاوَى فِي الْعَجْزِ عَنْ دَرْك ذَلِكَ عِلْمُ الْمَسْؤُولِ والسائل.

***الميسر:بل تكامل علمهم في الآخرة،**

فأيقنوا بالدار الآخرة، و ما فيها مِن أهوال حين عاينوها،

و قد كانوا في الدنيا في شك منها، بل عميت عنها بصائرهم.

و لهذا قال: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ)

أي: هذا بعيد غير ممكن قاسوا قدرة كامل القدرة بقدرهم الضعيفة.

(لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا)

أي: البعث

(نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ)

أي: فلم يجئنا و لا رأينا منه شيئا.

(إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ)

أي: قصصهم و أخبارهم التي تقطع بها الأوقات

و ليس لها أصل و لا صدق فيها.

❍فانتقل في الإخبار عن أحوال المكذبين بالإخبار

أنهم لا يدرون متى وقت الآخرة

❍ثم الإخبار بضعف علمهم فيها

❍ثم الإخبار بأنه شك ثم الإخبار بأنه عمى

❍ثم الإخبار بإنكارهم لذلك و استبعادهم وقوعه

أي:و بسبب هذه الأحوال ترحل خوف الآخرة من قلوبهم

فأقدموا على معاصي الله

و سَهُلَ عليهم تكذيب الحق

و التصديق بالباطل

و استحلوا الشهوات على القيام بالعبادات

فخسروا دنياهم و أخراهم.

ثم نبههم على صدق ما أخبرت به الرسل فقال:

قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٦٩﴾

فلا تجدون مجرما قد استمر على إجرامه،إلا و عاقبته شر عاقبة

و قد أحل الله به من الشر و العقوبة ما يليق بحاله.

وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٧٢﴾

(وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ)

أي: لا تحزن يا محمد على هؤلاء المكذبين و عدم إيمانهم،

فإنك لو علمت ما فيهم من الشر و أنهم لا يصلحون للخير،

لم تأس و لم تحزن،

(وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ)

و لا يضق صدرك و لا تقلق نفسك بمكرهم

فإن مكرهم سيعود عاقبته عليهم،

(وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)

(وَيَقُولُونَ)

أي المكذبون بالمعاد و بالحق الذي جاء به الرسول مستعجلين للعذاب:-

(مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ)

و هذا من سفاهة رأيهم و جهلهم

فإن وقوعه و وقته قد أجله الله بأجله و قدره بقدر،

فلا يدل عدم استعجاله على بعض مطلوبهم.

و لكن – مع هذا– قال تعالى محذرا لهم وقوع ما استعجلوه:

(قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم)

أي: قَرُبَ منكم و أوشك أن يقع بكم

(بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ)

من العذاب.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾

وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٤﴾

وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ)

ينبه عباده على سعة جوده و كثرة أفضاله و يحثهم على شكرها،

و مع هذا فأكثر الناس قد أعرضوا عن الشكر و اشتغلوا بالنعم عن المنعم.

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ)

أي:تنطوي عليه

(صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ)

فليحذروا من عالم السرائر و الظواهر و ليراقبوه.

***{سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ} [الرَّعْدِ: 10]

{يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} [طَهَ: 7]

{أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} [هُودٍ: 5] .

(وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ)

أي: خفية و سر من أسرار العالم العلوي و السفلي

(إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ)

قد أحاط ذلك الكتاب بجميع ما كان و يكون إلى أن تقوم الساعة،

فكل حادث يحدث جلي أو خفي

إلا و هو مطابق لما كتب في اللوح المحفوظ.

***وَ هَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}[الحج: 70]

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

(إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ)

و هذا خبر عن هيمنة القرآن على الكتب السابقة و تفصيله و توضيحه،

لما كان فيها قد وقع فيه اشتباه و اختلاف عند بني إسرائيل

فقصه هذا القرآن قصا زال به الإشكال

و بين به الصواب من المسائل المختلف فيها.

و إذا كان بهذه المثابة من الجلالة و الوضوح

و إزالة كل خلاف و فَصَّل كل مشكل كان أعظم نعم الله على العباد

و لكن ما كل أحد يقابل النعمة بالشكر.

(أَكْثَرَ الَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)

***كَاخْتِلَافِهِمْ فِي عِيسَى وَ تَبَايُنِهِمْ فِيهِ، فَالْيَهُودُ افْتَرَوْا، وَ النَّصَارَى غَلَوا، فَجَاءَ إِلَيْهِمُ الْقُرْآنُ بِالْقَوْلِ الْوَسَطِ الْحَقِّ الْعَدْلِ:

أَنَّهُ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَ أَنْبِيَائِهِ وَ رُسُلِهِ الْكِرَامِ،عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَ السَّلَامِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:{ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ}

[مَرْيَمَ: 34] .

❍و لهذا بين أن نفعه و نوره و هداه مختص بالمؤمنين فقال:

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ
ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا
مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ
ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ
تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ
﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن
شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ
صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

(وَإِنَّهُۥ لَهُدًى)

من الضلالة و الغي و الشبه

(وَرَحۡمَةٞ)

تنثلج له صدورهم و تستقيم به أمورهم الدينية و الدنيوية

(لِّلۡمُؤۡمِنِينَ)

به المصدقين له

المتلقين له بالقبول

المقبلين على تدبره

المتفكرين في معانيه،

فهؤلاء تحصل لهم به الهداية إلى الصراط المستقيم

و الرحمة المتضمنة للسعادة و الفوز والفلاح.

إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٨

(إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم)

أي: إن الله تعالى سيفصل بين المختصين و سيحكم بين المختلفين

(بِحُكۡمِهِۦۚ)

العدل و قضائه القسط،

فالأمور و إن حصل فيها اشتباه في الدنيا بين المختلفين لـــــــ:-

1-خفـــــاء الدليل

2-أو لبعض المقــــــاصد

فإنه سيبين فيها الحق المطابق للواقع حين يحكم الله فيها

(وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ)

الذي قهر الخلائق فأذعنوا له،

(ٱلْعَلِيمُ)

بجميع الأشياء

(ٱلْعَلِيمُ)

بأقوال المختلفين

و عن ماذا صدرت و عن غاياتها و مقاصدها

و سيجازي كلا بما علمه فيه.

فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾

إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾

وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ

إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

(فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ)

أي: اعتمد على ربك في جلب المصالح و دفع المضار

و في تبليغ الرسالة و إقامة الدين و جهاد الأعداء.

(إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ)

الواضح

و الذي على الحق يدعو إليه،

و يقوم بنصرته أحق من غيره بالتوكل

فإنه يسعى في أمر مجزوم به معلوم صدقه لا شك فيه و لا مرية.

و أيضا فهو حق في غاية البيان لا خفاء به و لا اشتباه،

و إذا قمت بما حملت و توكلت على الله في ذلك

فلا يضرك ضلال من ضل و ليس عليك هداهم

فلهذا قال:(إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ)

أي: حين تدعوهم و تناديهم، و خصوصا

(إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ)

فإنه يكون أبلغ في عدم إسماعهم.

(وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ)

كما قال تعالى:(إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)

***الميسر:و ما أنت -أيها الرسول- بهادٍ عن الضلالة مَن أعماه الله عن الهدى و الرشاد،**

(إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ)

أي: هؤلاء الذين ينقادون لك، الذين يؤمنون بآيات الله

و ينقادون لها بأعمالهم و استسلامهم كما قال تعالى:

(إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)

*** الميسر: و لا يمكنك أن تُسمع إلا مَن يصدِّق بآياتنا، فهم مسلمون مطيعون، مستجيبون لما دعوتهم إليه.**

وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾

(وَإِذَا وَقَعَ)

على الناس

(ٱلْقَوْلُ)

الذي حتمه الله و فرض وقته.

(عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً)

خارجة

(مِّنَ ٱلْأَرْضِ)

أو دابة من دواب الأرض ليست من السماء. و هذه الدابة

(تُكَلِّمُهُمْ)

أي: تكلم العباد

(أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ)

أي:لأجل أن الناس ضعف علمهم و يقينهم بآيات الله،

فإظهار الله هذه الدابة من آيات الله العجيبة ليبين للناس ما كانوا فيه يمترون.

و هذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان

و تكون من أشراط الساعة كما تكاثرت بذلك الأحاديث

و لم يأت دليل يدل على كيفيتها و لا من أي نوع هي

و إنما دلت الآية الكريمة على أن الله يخرجها للناس

و أن هذا التكليم منها خارق للعوائد المألوفة

و أنه من الأدلة على صدق ما أخبر الله به في كتابه و الله أعلم

***صحيح مسلم

(2901) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ:-

اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَ نَحْنُ نَتَذَاكَرُ،

فَقَالَ:«مَا تَذَاكَرُونَ؟»

قَالُوا:نَذْكُرُ السَّاعَةَ،

قَالَ:إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ -

فَذَكَرَ-الدُّخَانَ، وَ الدَّجَّالَ، وَ الدَّابَّةَ، وَ طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا،

و نُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام

وَ يَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ،

وَ ثَلَاثَةَ خُسُوفٍ:-

خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ،

وَ خَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ،

وَ خَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ،

وَ آخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ "

***صحيح مسلم

(2941)عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ:

حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ،

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:

«إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا،

وَ خُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى،

وَ أَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»،

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾

(وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا)

يخبر تعالى عن حالة المكذبين في موقف القيامة

و أن الله يجمعهم، و يحشر من كل أمة من الأمم فوجا و طائفة

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ}[الصَّافَّاتِ: 22]

وَ قَالَ تَعَالَى{وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ}[التَّكْوِيرِ: 7]

(مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ)

***يُدْفَعُونَ.
وَ قَالَ قَتَادَةُ: وَزَعَةٌ تَرُدُّ أَوَّلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ.
وَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: يُسَاقُونَ.
❍يجمع أولهم على آخرهم و آخرهم على أولهم
ليعمهم السؤال و التوبيخ و اللوم.

(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو)

و حضروا قال لهم موبخا و مقرعا:

(قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا)

العلم أي: الواجب عليكم التوقف حتى ينكشف لكم الحق
و أن لا تتكلموا إلا بعلم، فكيف كَذَّبْتُم بأمر لم تحيطوا به علما؟

(أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

أي: يسألهم عن علمهم و عن عملهم فيجد عليهم تكذيبا بالحق،
و عملهم لغير الله أو على غير سنة رسولهم.
***وَ يُسْأَلُونَ عَنِ اعْتِقَادِهِمْ، وَ أَعْمَالِهِمْ
فَلَمَّا لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ،وَ كَانُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ:
{فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى. وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى}[الْقِيَامَةِ: 31، 32]
فَحِينَئِذٍ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عُذْرٌ يَعْتَذِرُونَ بِهِ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}
[الْمُرْسَلَاتِ: 35، 37]

(وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ)

أي: حقت عليهم كلمة العذاب بسبب ظلمهم الذي استمروا عليه

و توجهت عليهم الحجة

(فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ)

لأنه لا حجة لهم.

أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٦﴾

(أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ)

أي : ألم يشاهدوا هذه الآية العظيمة و النعمة الجسيمة

و هو تسخير الله لهم الليل و النهار،

هذا بظلمته :-

ليسكنوا فيه و يستريحوا من التعب و يستعدوا للعمل،

و هذا بضيائه:-

لينتشروا فيه في معاشهم و تصرفاتهم.

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ)

على كمال وحدانية الله و سبوغ نعمته.

وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾

يخوف تعالى عباده ما أمامهم من يوم القيامة و ما فيه من المحن و الكروب، و مزعجات القلوب فقال: (وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ)

بسبب النفخ فيه

***يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ هَوْلِ يَوْمِ نَفْخَةِ الفَزَعِ فِي الصُّور،
وَ هُوَ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيث: "قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ".
وَ فِي حَدِيث (الصُّور) أَنَّ إِسْرَافِيلَ هُوَ الَّذِي يَنْفُخُ فِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى،
فَيَنْفُخُ فِيهِ أَوَّلًا نَفْخَةَ الْفَزَعِ وَ يُطَوِّلُهَا،
وَ ذَلِكَ فِي آخِرِ عُمْرِ الدُّنْيَا، حِينَ تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى شَرَارِ النَّاسِ مِنَ الْأَحْيَاءِ،
فَيَفْزَعُ (مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ)

أي: انزعجوا و ارتاعوا و ماج بعضهم ببعض خوفا مما هو مقدمة له.

(إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ)

ممن أكرمه الله و ثبته و حفظه من الفزع.
***وَ هُمُ الشُّهَدَاءُ، فَإِنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون.
*** صحيح مسلم
(2940) عن يَعْقُوب بْنَ عَاصِمِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ،

يَقُولُ:سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، وَ جَاءَهُ رَجُلٌ،
فَقَالَ:مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ؟
تَقُولُ:إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا،
فَقَالَ:سُبْحَانَ اللهِ أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا –
لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا، إِنَّمَا قُلْتُ:
إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا، يُحَرَّقُ الْبَيْتُ، وَ يَكُونُ وَ يَكُونُ،
ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي
فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ - لَا أَدْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا
فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ،
فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ،
ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ،
فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا
قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَقْبِضَهُ "
قَالَ:سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،
قَالَ:فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَ أَحْلَامِ السِّبَاعِ،
لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا،
فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟
فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟
فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ،
ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَ رَفَعَ لِيتًا،
قَالَ:وَ أَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ،
قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ - أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ – مَطَرًا
كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ - نُعْمَانُ الشَّاكُّ - فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ،

ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ،
ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ،وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ
قَالَ:ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟
فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ،
قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ( )
***فَهَذِهِ نَفْخَةُ الْفَزَعِ.
ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَفْخَةُ الصَّعْقِ، وَ هُوَ الْمَوْتُ.
ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ،
وَ هُوَ النُّشُورُ مِنَ الْقُبُورِ لِجَمِيعِ الْخَلَائِقِ؛ وَ لِهَذَا قَالَ:

(وَكُلٌّ)

من الخلق عند النفخ في الصور

(أَتَوْهُ دَاخِرِينَ)

صاغرين ذليلين،

***لا يتخلف أحد عَنْ أَمْرِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

(فيبعث الله عيسى) قال القاضي رحمه الله تعالى نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته (في كبد جبل) أي وسطه وداخله وكبد كل شيء وسطه (في خفة الطير وأحلام السباع) قال العلماء معناه يكونون في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير وفي العدوان وظلم بعضهم بعضا في أخلاق السباع العادية (أصغى ليتا ورفع ليتا) أصغى أمال و الليت صفحة العنق و هي جانبه (يلوط حوض إبله) أي يطينه ويصلحه (كأنه الطل أو الظل) قال العلماء الأصح الطل وهو الموافق للحديث الآخر أنه كمني الرجال

{يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ} [الْإِسْرَاءِ: 52] ،

وَ قَالَ{ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ} [الرُّومِ: 25] .

كما قال تعالى:–

(إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا)

ففي ذلك اليوم يتساوى الرؤساء و المرءوسون في الذل و الخضوع لمالك الملك.

و من هوله (وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً)

لا تفقد شيئا منها و تظنها باقية على الحال المعهودة

و هي قد بلغت منها الشدائد و الأهوال كل مبلغ

و قد تفتت ثم تضمحل و تكون هباء منبثا.

و لهذا قال:(وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ)

من خفتها و شدة ذلك الخوف

***تَرَاهَا كَأَنَّهَا ثَابِتَةٌ بَاقِيَةٌ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، أَيْ: تَزُولُ عَنْ أَمَاكِنِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا} [الطُّورِ: 9، 10]

وَ قَالَ {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا} [طَه: 105، 107]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً} [الْكَهْفِ: 47] .

و ذلك

(صُنْعَ ٱللَّهِ)
***يَفْعَلُ ذَلِكَ بِقُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ

(ٱلَّذِىٓ)
قَدْ

(أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ)
خَلَقَه
وَ أَوْدَعَ فِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ مَا أَوْدَعَ،

(إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ)
***هُوَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُ عِبَادُهُ مِنْ خَيْرٍ وَ شَرٍّ
Oفيجازيكم بأعمالكم.

مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سورة القصص-بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾

مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾

وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾

ثم بين كيفية جزائه فقال: (مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ)

اسم جنس يشمل كل حسنة قولية أو فعلية أو قلبية

(فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا)

هذا أقل التفضيل .

***قَالَ قَتَادَةُ: بِالْإِخْلَاصِ.

وَ قَالَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ: هِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ -

وَ قَدْ بيّن فِي الْمَكَانِ الْآخَرِ أَنَّ لَهُ عَشْر أَمْثَالِهَا

(وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ)

أي: من الأمر الذي فزع الخلق لأجله آمنون و إن كانوا يفزعون معهم.

***كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:{لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأكْبَرُ}[الْأَنْبِيَاءِ: 103]

وَ قَالَ:{أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[فُصِّلَتْ: 40]

وَ قَالَ:{وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ}[سَبَأٍ: 37]

(وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ)

اسم جنس يشمل كل سيئة

(فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ)

أي: ألقوا في النار على وجوههم

***مَنْ لَقِيَ اللَّهَ مُسِيئًا لَا حَسَنَةَ لَهُ،

أَوْ: قَدْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ، كُلٌّ بِحَسْبِهِ

و يقال لهم:(هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾

وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ

وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾

وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

أي: قل لهم يا محمد

(إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ)

أي: مكة المكرمة التي حرمها و أنعم على أهلها

فيجب أن يقابلوا ذلك بالشكر و القبول.

(ٱلَّذِى حَرَّمَهَا)

***الَّذِي إِنَّمَا صَارَتْ حَرَامًا قَدَرًا وَ شَرْعًا، بِتَحْرِيمِهِ لَهَا،

كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

*** صحيح البخاري

1834 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺيَوْمَ افْتَتَحَ مَكَّةَ:

«لاَ هِجْرَةَ، وَ لَكِنْ جِهَادٌ وَ نِيَّةٌ،

وَ إِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ، فَانْفِرُوا،

فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ،

وَ هُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ،

وَ إِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ القِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي،

وَ لَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ،

فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ،

لاَ يُعْضَدُ شَوْكُه، وَ لاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَ لاَ يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا، وَ لاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا»،

قَالَ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا الإِذْخِرَ فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَ لِبُيُوتِهِمْ،

قَالَ:قَالَ: «إِلَّا الإِذْخِرَ»

(وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ)

من العلويات وا لسفليات أتى به لئلا يتوهم اختصاص ربوبيته بالبيت وحده.

***كَمَا قَالَ:{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ} [يُونُسَ: 104] .

وَ إِضَافَةُ الرُّبُوبِيَّةِ إِلَى الْبَلْدَةِ عَلَى سَبِيلِ التَّشْرِيفِ لَهَا وَ الِاعْتِنَاءِ بِهَا، كَمَا قَالَ: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قُرَيْشٍ: 3، 4] .

(وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ)

***الْمُوَحِّدِينَ الْمُخْلِصِينَ الْمُنْقَادِينَ لِأَمْرِهِ المطيعين له.

❍أي: أبادر إلى الإسلام،

و قد فعل ﷺفإنه أول هذه الأمة إسلاما و أعظمها استسلاما.

(و) أمرت أيضا

(وَأَنْ أَتْلُوَا)

عليكم

(ٱلْقُرْءَانَ)

لتهتدوا به و تقتدوا و تعلموا ألفاظه و معانيه فهذا الذي علي و قد أديته،
****عَلَى النَّاسِ أُبَلِّغُهُمْ إِيَّاهُ، كَقَوْلِهِ:
{ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ} [آلِ عِمْرَانَ: 58]
وَ كَقَوْلِهِ: {نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}
[الْقَصَصِ: 3]
أَيْ: أَنَا مُبَلِّغٌ وَ مُنْذِرٌ،

(فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ)

نفعه يعود عليه و ثمرته عائدة إليه
***لِي سَوِيَّةُ الرُّسُلِ الَّذِينَ أَنْذَرُوا قَوْمَهُمْ،
وَ قَامُوا بِمَا عَلَيْهِمْ مِنْ أَدَاءِ الرِّسَالَةِ إِلَيْهِمْ،
و خَلَصُوا مِنْ عُهْدَتِهِمْ، وَ حِسَابُ أُمَمِهِمْ عَلَى اللَّهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:
{فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} [الرَّعْدِ: 40]
وَ قَالَ:{إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [هُودٍ: 12]

(وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ)

و ليس بيدي من الهداية شيء.

(وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ)

(وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ)

الذي له الحمد في الأولى و الآخرة و من جميع الخلق،

خصوصا أهل الاختصاص و الصفوة من عباده،

فإن الذي ينبغي أن يقع منهم من الحمد و الثناء على ربهم

أعظم مما يقع من غيرهم لرفعة درجاتهم و كمال قربهم منه و كثرة خيراته

عليهم.

(سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ)

*** لِلَّهِ الْحَمْدُ الَّذِي لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ

❍معرفة تدلكم على الحق و الباطل،

فلا بد أن يريكم من آياته ما تستنيرون به في الظلمات.

(لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ)

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}[فُصِّلَتْ: 53] .

(وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

بل قد علم ما أنتم عليه من الأعمال و الأحوال

و علم مقدار جزاء تلك الأعمال

و سيحكم بينكم حكما تحمدونه عليه

و لا يكون لكم حجة بوجه من الوجوه عليه.

***وَ قَدْ ذُكِرَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّهُ كَانَ يُنْشِدُ هَذَيْنَ الْبَيْتَيْنِ، إِمَّا لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدهْرَ يَوماً فَلا تَقُل ... خَلَوْتُ وَ لكن قُل عَليّ رَقيب ...

وَ لا تَحْسَبَن اللَّهَ يَغْفُل سَاعَةً ... وَ لا أَنَّ مَا يَخْفى عَلَيْه يَغيب ..

تم تفسير سورة النمل بفضل الله و إعانته و تيسيره.

تفسير سورة القصص و هي مكية

سورة القصص- بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤

(3 – 51) إلى آخر القصة.

(طسٓمٓ)

(تِلۡكَ)

الآيات المستحقة للتعظيم و التفخيم

(ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ)

لكل أمر يحتاج إليه العباد، مـــــــن:

معرفة ربهم،

و معرفة حقوقه،

و معرفة أوليائه و أعدائه،

و معرفة وقائعه و أيامه،

و معرفة ثواب الأعمال، و جزاء العمال،

فهذا القرآن قد بينها غاية التبيين، و جلاها للعباد، و وضَّحَها.

و من جملة ما أبان، قصة موسى و فرعون،

فإنه أبداها، و أعادها في عدة مواضع، و بسطها في هذا الموضع

فقال: (نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ)

فإن نبأهما غريب، و خبرهما عجيب.

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} [يُوسُفَ: 3]
أَيْ: نَذْكُرُ لَكَ الْأَمْرَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، كَأَنَّكَ تُشَاهِدُ وَ كَأَنَّكَ حَاضِرٌ.

(لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)

فإليهم يساق الخطاب، و يوجه الكلام،

حيث إن معهم من الإيمان، ما يُقْبلون به على تدبُّر ذلك،

و تلقِّيه بالقبول و الاهتداء بمواقع العبر،

و يزدادون به إيمانا و يقينا، و خيرا إلى خيرهم،

و أما من عداهم، فلا يستفيدون منه إلا إقامة الحجة عليهم،

و صانه اللّه عنهم، و جعل بينهم و بينه حجابا أن يفقهوه.

فأول هذه القصة ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾

في ملكه و سلطانه و جنوده و جبروته،

فصار من أهل العلو فيها، لا من الأعلين فيها.

﴿وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾

أي:طوائف متفرقة، يتصرف فيهم بشهوته،

و ينفذ فيهم ما أراد من قهره، و سطوته.

﴿يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ﴾

و تلك الطائفة، هم بنو إسرائيل، الذين فضلهم اللّه على العالمين،

الذين ينبغي له أن يكرمهم و يجلهم،

و لكنه استضعفهم، بحيث إنه رأى أنهم لا منعة لهم تمنعهم مما أراده فيهم،

فصار لا يبالي بهم، و لا يهتم بشأنهم، و بلغت به الحال إلى أنه

﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ﴾

خوفا من أن يكثروا، فيغمروه في بلاده، و يصير لهم الملك.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾

الذين لا قصد لهم في إصلاح الدين،

و لا إصلاح الدنيا، و هذا من إفساده في الأرض.

***وَ كَانَتِ الْقِبْطُ قَدْ تَلَقَّوْا هَذَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيمَا كَانُوا يَدْرُسُونَهُ مِنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عليه السلام حِينَ وَرَدَ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ،
وَ جَرَى لَهُ مَعَ جَبَّارِهَا مَا جَرَى، حِينَ أَخَذَ سَارَّةَ لِيَتَّخِذَهَا جَارِيَةً،
فَصَانَهَا اللَّهُ مِنْهُ، وَ مَنَعَهُ مِنْهَا بِقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ.
فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام وَلَدَهُ أَنَّهُ سَيُولَدُ مِنْ صُلْبِهِ وَ ذُرِّيَّتِهِ مَن يَكُونُ هَلَاكُ مَلِكِ مِصْرَ عَلَى يَدَيْهِ،
فَكَانَتِ الْقِبْطُ تَتَحَدَّثُ بِهَذَا عِنْدَ فِرْعَوْنَ،
فَاحْتَرَزَ فِرْعَوْنُ مِنْ ذَلِكَ، وَ أَمَرَ بِقَتْلِ ذُكُورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
وَ لَنْ يَنْفَعَ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ؛ لِأَنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ، وَ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ؛
وَ لِهَذَا قَالَ:

وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟)

(فِى ٱلْأَرْضِ)

بأن نزيل عنهم مواد الاستضعاف،و نهلك من قاومهم، و نخذل من ناوأهم.

(وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً)

في الدين، و ذلك لا يحصل مع استضعاف،

بل لا بد من تمكين في الأرض، و قدرة تامة،

﴿وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾

للأرض، الذين لهم العاقبة في الدنيا قبل الآخرة.

وَ قَدْ فَعَلَ تَعَالَى ذَلِكَ بِهِمْ، كَمَا قَالَ:

{وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ}[الْأَعْرَافِ: 137]

وَ قَالَ: {كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ}[الشُّعَرَاءِ: 59]

أَرَادَ فِرْعَوْنُ بِحَوْلِهِ وَ قُوَّتِهِ أَنْ يَنْجُوَ مِنْ مُوسَى،

فَمَا نَفَعَهُ ذَلِكَ مَعَ قَدَرِ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يُخَالَفُ أَمْرُهُ الْقَدَرِيُّ،

بَلْ نَفَذَ حُكْمُهُ وَ جَرَى قَلَمُهُ فِي الْقِدَمِ بِأَنْ يَكُونَ إِهْلَاكُ فِرْعَوْنَ عَلَى يَدَيْهِ،

بَلْ يَكُونُ هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي احْتَرَزْتَ مِنْ وُجُودِهِ،

وَ قَتَلْتَ بِسَبَبِهِ أُلُوفًا مِنَ الْوِلْدَانِ

إِنَّمَا مَنْشَؤُهُ وَ مُرَبَّاهُ عَلَى فِرَاشِكَ، وَ فِي دَارِكَ، وَ غِذَاؤُهُ مِنْ طَعَامِكَ،

وَ أَنْتَ تُرَبِّيهِ وَ تُدَلِّلُهُ وَ تَتَفَدَّاهُ، وَ حَتْفُكَ، وَ هَلَاكُكَ وَ هَلَاكُ جُنُودِكَ عَلَى يَدَيْهِ، لِتَعْلَمَ أَنَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَا هُوَ الْقَادِرُ الْغَالِبُ الْعَظِيمُ،

الْعَزِيزُ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ الْمِحَالِ، الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ، وَ مَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا

يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ

فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾

فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ

وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ۖ

لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ

لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾

وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ

يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾

فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

(وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ)

فهذه الأمور كلها، قد تعلقت بها إرادة اللّه، و جرت بها مشيئته

(وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ)

وزيره

(وَجُنُودَهُمَا)

التي بها صالوا و جالوا، و علوا و بغوا

(مِنْهُم)

أي: من هذه الطائفة المستضعفة

(مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ)

من إخراجهم من ديارهم،

و لذلك كانوا يسعون في قمعهم، و كسر شوكتهم، و تقتيل أبنائهم،

الذين هم محل ذلك، فكل هذا قد أراده اللّه،

و إذا أراد أمرا سهل أسبابه، و نهج طرقه، و هذا الأمر كذلك،

فإنه قدر و أجرى من الأسباب – التي لم يشعر بها لا أولياؤه و لا أعداؤه–

ما هو سبب موصل إلى هذا المقصود.

*****ذَكَرُوا أَنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا أَكْثَرَ مِنْ قَتْلِ ذُكُورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ،**
خَافَتِ الْقِبْطُ أَنْ يُفْني بَنِي إِسْرَائِيلَ فَيَلُون هُمْ مَا كَانُوا يَلُونَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ.
فَقَالُوا لِفِرْعَوْنَ: إِنَّهُ يُوشِكُ -إِنِ اسْتَمَرَّ هَذَا الْحَالُ -أَنْ يَمُوتَ شُيُوخُهُمْ،

وَ غِلْمَانُهُمْ لَا يَعِيشُونَ، وَ نِسَاؤُهُمْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُمْن بِمَا يَقُومُ بِهِ رِجَالُهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَيَخْلُصُ إِلَيْنَا ذَلِكَ.
فَأَمَرَ بِقَتْلِ الْوِلْدَانِ عَامًا وَ تَرْكِهِمْ عَامًا،
فَوُلِدَ هَارُونُ عليه السلام فِي السَّنَةِ الَّتِي يَتْرُكُونَ فِيهَا الْوِلْدَانَ،
وَ وُلِدَ مُوسَى عليه السلام فِي السَّنَةِ الَّتِي يَقْتُلُونَ فِيهَا الْوِلْدَانَ،
وَ كَانَ لِفِرْعَوْنَ أُنَاسٌ مُوَكَّلُونَ بِذَلِكَ، وَ قَوَابِلُ يَدُرْنَ عَلَى النِّسَاءِ،
فَمَنْ رَأَيْنَهَا قَدْ حَمَلَتْ أَحْصَوُا اسْمَهَا،
فَإِذَا كَانَ وَقْتُ وِلَادَتِهَا لَا يَقْبَلُهَا إِلَّا نِسَاءُ الْقِبْطِ،
فَإِذَا وَلَدَتِ الْمَرْأَةُ جَارِيَةً تَرَكْنَهَا وَ ذَهَبْنَ،
وَ إِنْ وَلَدَتْ غُلَامًا دَخَلَ أُولَئِكَ الذبَّاحون، بِأَيْدِيهِمُ الشِّفَارُ الْمُرْهَفَةُ،
فَقَتَلُوهُ وَ مَضَوْا قَبَّحَهُم اللَّهُ.
فَلَمَّا حَمَلَتْ أُمُّ مُوسَى بِهِ عليه السلام لَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهَا مَخَايِلُ الْحَمْلِ كَغَيْرِهَا،
وَ لَمْ تَفْطِنْ لَهَا الدَّايَاتُ، وَ لَكِنْ لَمَّا وَضَعَتْهُ ذَكَرًا ضَاقَتْ بِهِ ذَرْعًا،
وَ خَافَتْ عَلَيْهِ خَوْفًا شَدِيدًا وَ أَحَبَّتْهُ حُبًّا زَائِدًا،
وَ كَانَ مُوسَى عليه السلام لَا يَرَاهُ أَحَدٌ إِلَّا أَحَبَّهُ،
فَالسَّعِيدُ مَنْ أَحَبَّهُ طَبْعًا وَ شَرْعًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي} [طَه: 39] .
فَلَمَّا ضَاقَتْ ذَرْعًا بِهِ أُلْهِمَتْ فِي سِرِّهَا،
وَ أُلْقِيَ فِي خَلَدِهَا، وَ نُفِثَ فِي رَوْعِهَا،
كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} .
وَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَتْ دَارُهَا عَلَى حَافَّةِ النِّيلِ،
فَاتَّخَذَتْ تَابُوتًا، و مهدَت فِيهِ مَهْدًا،

وَ جَعَلَتْ تُرْضِعُ وَلَدَهَا،
فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِمَّنْ تَخَافُ جَعَلَتْهُ فِي ذَلِكَ التَّابُوتِ،
وَ سَيَّرَتْهُ فِي الْبَحْرِ، وَ رَبَطَتْهُ بِحَبْلٍ عِنْدَهَا.
فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْهَا مَنْ تَخَافُهُ،
فَذَهَبَتْ فَوَضَعَتْهُ فِي ذَلِكَ التَّابُوتِ،
وَ أَرْسَلَتْهُ فِي الْبَحْرِ وَ ذَهَلَتْ عَنْ أَنْ تَرْبِطَهُ( )
فَذَهَبَ مَعَ الْمَاءِ وَ احْتَمَلَهُ، حَتَّى مَرَّ بِهِ عَلَى دَارِ فِرْعَوْنَ،
فَالْتَقَطَهُ الْجَوَارِي فَاحْتَمَلْنَهُ، فَذَهَبْنَ بِهِ إِلَى امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ،
وَ لَا يَدْرِينَ مَا فِيهِ، وَ خَشِينَ أَنْ يَفْتَتْنَ عَلَيْهَا فِي فَتْحِهِ دُونَهَا.
فَلَمَّا كَشَفَتْ عَنْهُ إِذَا هُوَ غُلَامٌ مِنْ أَحْسَنِ الْخَلْقِ وَ أَجْمَلِهِ وَ أَحْلَاهُ وَ أَبْهَاهُ،
فَأَوْقَعَ اللَّهُ مَحَبَّتَهُ فِي قَلْبِهَا حِينَ نَظَرَتْ إِلَيْهِ،
وَ ذَلِكَ لِسَعَادَتِهَا وَمَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْ كَرَامَتِهَا وَ شَقَاوَةِ بَعْلِهَا؛ وَ لِهَذَا قَالَ
{فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا}.

(وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ)

فأول ذلك، لما أوجد اللّه رسوله موسى،

الذي جعل استنقاذ هذا الشعب الإسرائيلي على يديه و بسببه،

و كان في وقت تلك المخافة العظيمة، التي يذبحون بها الأبناء،

أوحى إلى أمه أن ترضعه، و يمكث عندها.

(خِفْتِ عَلَيْهِ)

هذا فيه نظر و الشاهد أنهاألقته عن عمد كما أمرت....الشيخ /مصطفى العدوى

بأن أحسست أحدا تخافين عليه منه أن يوصله إليهم،

(فَأَلْقِيهِ فِى)

أي نيل مصر، في وسط تابوت مغلق،

(وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ)

فبشرها بأنه سيرده عليها،

و أنه سيكبر و يسلم من كيدهم، و يجعله اللّه رسولا.

و هذا من أعظم البشائر الجليلة،

و تقديم هذه البشارة لأم موسى، ليطمئن قلبها، و يسكن روعها،

فإنها خافت عليه، و فعلت ما أمرت به، ألقته في اليم، فساقه اللّه تعالى.

(فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ)

فصار من لقطهم، و هم الذين باشروا وجدانه،

(لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا)

أي: لتكون العاقبة و المآل من هذا الالتقاط، أن يكون عدوا لهم و حزنا يحزنهم، بسبب أن الحذر لا ينفع من القدر،

و أن الذي خافوا منه من بني إسرائيل، قيض اللّه أن يكون زعيمهم،

يتربى تحت أيديهم، و على نظرهم، و بكفالتهم.

❍و عند التدبر و التأمل:-

تجد في طي ذلك من المصالح لبني إسرائيل،

و دفع كثير من الأمور الفادحة بهم،

و منع كثير من التعديات قبل رسالته، بحيث إنه صار من كبار المملكة.

❍و بالطبع، إنه لا بد أن يحصل منه مدافعة عن حقوق شعبه هذا،

و هو هو ذو الهمة العالية و الغيرة المتوقدة،

و لهذا وصلت الحال بذلك الشعب المستضعف –

الذي بلغ بهم الذل و الإهانة إلى ما قص اللّه علينا بعضه –

أن صار بعض أفراده، ينازع ذلك الشعب القاهر العالي في الأرض،

كما سيأتي بيانه.

و هذا مقدمة للظهور، فإن اللّه تعالى من سنته الجارية،

أن جعل الأمور تمشي على التدريج شيئا فشيئا، و لا تأتي دفعة واحدة.

***قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَ غَيْرُهُ:

"اللَّامُ" هُنَا لَامُ الْعَاقِبَةِ لَا لَامُ التَّعْلِيلِ؛

لِأَنَّهُمْ لَمْ يُرِيدُوا بِالْتِقَاطِهِ ذَلِكَ.

وَ لَا شَكَّ أَنَّ ظَاهِرَ اللَّفْظِ يَقْتَضِي مَا قَالُوهُ،

وَ لَكِنْ إِذَا نُظِرَ إِلَى مَعْنَى السِّيَاقِ فَإِنَّهُ تَبْقَى اللَّامُ لِلتَّعْلِيلِ؛

لِأَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى، قَيَّضَهُمْ لِالْتِقَاطِهِ لِيَجْعَلَهُ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا

فَيَكُونَ أَبْلَغَ فِي إِبْطَالِ حَذَرِهِمْ مِنْهُ؛

وَ لِهَذَا قَالَ:(إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ)

أي: فأردنا أن نعاقبهم على خطئهم و نكيد هم،جزاء على مكرهم و كيدهم.

فلما التقطه آل فرعون:–

حنَّن اللّه عليه امرأة فرعون الفاضلة الجليلة المؤمنة[آسية بنت مزاحم]

(وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ)

هذا الولد

(قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ)

أي: أبقه لنا، لِتقرَّ به أعيننا، و نسر به في حياتنا.

(لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا)

أي: لا يخـــــلو:-

1-إما أن يكون بمنزلة الخدم،الذين يسعون في نفعنا و خدمتنا،

2-أو نرقيه منزلة أعلى من ذلك، نجعله ولدا لنا، و نكرمه، و نجله.

فقدَّر اللّه تعالى، أنه نفع امرأة فرعون، التي قالت تلك المقالة،

فإنه لما صار قرة عين لها، و أحبته حبا شديدا،

فلم يزل لها بمنزلة الولد الشفيق حتى كبر و نبأه اللّه و أرسله،

فبادرت إلى الإسلام و الإيمان به، رضي اللّه عنها و أرضاها.

قال اللّه تعالى هذه المراجعات و المقاولات في شأن موسى:

(وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ)

ما جرى به القلم، و مضى به القدر، من وصوله إلى ما وصل إليه،

و هذا من لطفه تعالى، فإنهم لو شعروا، لكان لهم و له، شأن آخر.

و لما فقدت موسى أمه، حزنت حزنا شديدا،

(وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ)

من القلق الذي أزعجها، على مقتضى الحالة البشرية،

مع أن اللّه تعالى نهاها عن الحزن و الخوف، و وعدها برده.

(إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ)

أي: بما في قلبها

(لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا)

فثبتناها، فصبرت، ولم تبد به.

(لِتَكُونَ)

بذلك الصبر و الثبات

(مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)

فإن العبد إذا أصابته مصيبة فصبر و ثبت، ازداد بذلك إيمانه،

و دل ذلك، على أن استمرار الجزع مع العبد، دليل على ضعف إيمانه.

(وَقَالَتۡ)

أم موسى

(لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ)

أي: اذهبي فقصي الأثر عن أخيك

و ابحثي عنه من غير أن يحس بك أحد أو يشعروا بمقصودك

فذهبت تقصه

(فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ)

أي: أبصرته على وجه، كأنها مارة لا قصد لها فيه.

و هذا من تمام الحزم و الحذر،

فإنها لو أبصرته، و جاءت إليهم قاصدة، لظنوا بها أنها هي التي ألقته،

فربما عزموا على ذبحه، عقوبة لأهله.

(وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ)

و من لطف اللّه بموسى و أمه، أن منعه من قبول ثدي امرأة،

فأخرجوه إلى السوق رحمة به، و لعل أحدا يطلبه،

فجاءت أخته، و هو بتلك الحال

(فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ)

و هذا جُلُّ غرضهم، فإنهم أحبوه حبا شديدا،

و قد منعه اللّه من المراضع فخافوا أن يموت،

فلما قالت لهم أخته تلك المقالة، المشتملة على الترغيب،

في أهل هذا البيت، بتمام حفظه و كفالته و النصح له، بادروا إلى إجابتها،

فأعلمتهم و دلتهم على أهل هذا البيت.

(فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ)

كما وعدناها بذلك

(كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ)

بحيث إنه تربى عندها على وجه تكون فيه آمنة مطمئنة، تفرح به،

و تأخذ الأجرة الكثيرة على ذلك

(وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ)

فأريناها بعض ما وعدناها به عيانا،

ليطمئن بذلك قلبها، و يزداد إيمانها،

و لتعلم أنه سيحصل وعد اللّه في حفظه و رسالته،

(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)

***الميسر:و لكن أكثر المشركين لا يعلمون أن وعد الله حق.**

❍فإذا رأوا السبب متشوشا، شوش ذلك إيمانهم، لعدم علمهم الكامل،

أن اللّه تعالى يجعل المحن الشاقة و العقبات الشاقة،

بين يدي الأمور العالية و المطالب الفاضلة،

فاستمر موسى عليه السلام عند آل فرعون، يتربى في سلطانهم،

و يركب مراكبهم، و يلبس ملابسهم، و أمه بذلك مطمئنة،

قد استقر أنها أمه من الرضاع،

و لم يستنكر ملازمته إياها و حنوها عليها.

و تأمل هذا اللطف، و صيانة نبيه موسى من الكذب في منطقه،

و تيسير الأمر، الذي صار به التعلق بينه و بينها،

الذي بان للناس أنه هو الرضاع، الذي بسببه يسميها أُمًّا،

فكان الكلام الكثير منه و من غيره في ذلك كله، صدقا و حقا.

***حُكْمَ اللَّهِ فِي أَفْعَالِهِ وَ عَوَاقِبَهَا الْمَحْمُودَةَ،
الَّتِي هُوَ الْمَحْمُودُ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ،
فَرُبَّمَا يَقَعُ الْأَمْرُ كَرِيهًا إِلَى النُّفُوسِ، وَ عَاقِبَتُهُ مَحْمُودَةٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ} [الْبَقَرَةِ: 216]

وَ قَالَ تَعَالَى:{فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}

[النساء: 19].

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾

فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ)

من القوة و العقل و اللب، و ذلك نحو أربعين سنة في الغالب،

(وَٱسْتَوَىٰٓ)

كملت فيه تلك الأمور

(ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا)

أي: حكما يعرف به الأحكام الشرعية،و يحكم به بين الناس

(وَعِلْمًا)

كثيرا.

(وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ)

في عبادة اللّه المحسنين لخلق اللّه،

نعطيهم علما و حكما بحسب إحسانهم،

و دل هذا على كمال إحسان موسى عليه السلام

(وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا)

إما وقت القائلة، أو غير ذلك من الأوقات التي بها يغفلون عن الانتشار.

(فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ)

أي: يتخاصمان و يتضاربان

(هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ)

أي: من بني إسرائيل

(وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ)

القبط.

(فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ)

لأنه قد اشتهر، و علم الناس أنه من بني إسرائيل،

و استغاثته لموسى، دليل على أنه بلغ موسى عليه السلام مبلغا يخاف منه

و يرجى من بيت المملكة و السلطان.

(فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ)

أي:وكز الذي من عدوه، استجابة لاستغاثة الإسرائيلي،

***الجلالين:ضَرَبَهُ بِجَمْعِ كَفّه**

(فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ)

أي: أماته من تلك الوكزة، لشدتها و قوة موسى.

فندم موسى عليه السلام على ما جرى منه،

و (قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ)

أي:من تزيينه و وسوسته،

(إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ)

فلذلك أجريت ما أجريت بسبب عداوته البينة، و حرصه على الإضلال.

ثم استغفر ربه

(قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)

خصوصا للمخبتين، المبادرين للإنابة و التوبة،

كما جرى من موسى عليه السلام

فـــــــ(قَالَ)

موسى

(رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ)

بالتوبة و المغفرة، و النعم الكثيرة،

(فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا)

أي: معينا و مساعدا

(لِّلۡمُجۡرِمِينَ)

أي: لا أعين أحدا على معصية،

و هذا وعد من موسى عليه السلام بسبب منة اللّه عليه، أن لا يعين مجرما،

كما فعل في قتل القبطي.

و هذا يفيد أن النعم تقتضي من العبد فعل الخير، و ترك الشر.

(فـ)

لما جرى منه قتل الذي هو من عدوه

(فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ)

***يتلفت و يتوقع ما يكون من هذا الامر

❍هل يشعر به آل فرعون، أم لا؟

و إنما خاف، لأنه قد علم، أنه لا يتجرأ أحد على مثل هذه الحال سوى موسى من بني إسرائيل.

فبينما هو على تلك الحال

(فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ)

على قبطي آخر.

(قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ)

موبخا له على حاله :–

(إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ)

أي: بين الغواية، ظاهر الجراءة.

**ظَاهِرُ الْغَوَايَةِ كَثِيرُ الشَّرِّ.

(فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ)

موسى

(بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا)

أي: له و للمخاصم المستصرخ،

أي: لم يزل اللجاج بين القبطي و الإسرائيلي،

و هو يستغيث بموسى، فأخذته الحمية، حتى هم أن يبطش بالقبطي

(قَالَ)

القـــــول الاول:ـ

[أى الاسرائيلى]

***ثُمَّ عَزَمَ عَلَى الْبَطْشِ بِذَلِكَ الْقِبْطِيِّ،
فَاعْتَقَدَ الْإِسْرَائِيلِيُّ لخورِه وَ ضَعْفِهِ وَ ذِلَّتِهِ أَنَّ مُوسَى
إِنَّمَا يُرِيدُ قَصْدَهُ لَمَّا سَمِعَهُ يَقُولُ ذَلِكَ،
فَقَالَ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ: {يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ}
وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لم يَعْلَمْ بِهِ إِلَّا هُوَ وَ مُوسَىعليه السلام
فَلَمَّا سَمِعَهَا ذَلِكَ الْقِبْطِيُّ لقفها مِنْ فَمِهِ،
ثُمَّ ذَهَبَ بِهَا إِلَى بَابِ فِرْعَوْنَ فَأَلْقَاهَا عِنْدَهُ، فَعَلِمَ بِذَلِكَ،
فَاشْتَدَّ حَنَقُهُ، وَ عَزَمَ عَلَى قَتْلِ مُوسَى،
فَطَلَبُوهُ فَبَعَثُوا وَرَاءَهُ لِيُحْضِرُوهُ لِذَلِكَ.

القـــــول الثانى:ـ

[أى القبطى]

❍له القبطي زاجرا له عن قتله:

(يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ)

لأن من أعظم آثار الجبار في الأرض، قتل النفس بغير حق.

(وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ)

و إلا فلو أردت الإصلاح لحلت بيني و بينه من غير قتل أحد

فانكف موسى عن قتله، و ارعوى لوعظه و زجره،

و شاع الخبر بما جرى من موسى في هاتين القضيتين،

حتى تراود ملأ فرعون، و فرعون على قتله، و تشاوروا على ذلك.

و قيض اللّه ذلك الرجل الناصح،

و بادرهم إلى الإخبار لموسى بما اجتمع عليه رَأْيُ ملئهم.

فقال: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾

***وَصَفَهُ بالرّجُولية لِأَنَّهُ خَالَفَ الطَّرِيقَ،
فَسَلَكَ طَرِيقًا أَقْرَبَ مِنْ طَرِيقِ الَّذِينَ بُعثوا وَرَاءَهُ، فَسَبَقَ إِلَى مُوسَى

﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾

***منف (عاصمة مصر)

﴿يَسْعَىٰ﴾

أي: ركضا على قدميه من نصحه لموسى،

و خوفه أن يوقعوا به، قبل أن يشعر،

فـــــ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾

أي: يتشاورون فيك

﴿لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾

عن المدينة

(إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ)

فامتثل نصحه.

***لَمَّا أَخْبَرَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ بِمَا تَمَالَأَ عَلَيْهِ فِرْعَوْنُ وَ دَوْلَتُهُ فِي أَمْرِهِ،
خَرَجَ مِنْ مِصْرَ وَحْدَهُ، وَ لَمْ يَأْلَفْ ذَلِكَ قَلْبُهُ،
بَلْ كَانَ فِي رَفَاهِيَةٍ وَ نِعْمَةٍ وَ رِئَاسَةٍ،

(فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ)

أن يوقع به القتل، و دعا اللّه،

و (قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ)

*** مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلَئِهِ. فَذَكَرُوا أَنَّ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،
بَعَثَ لَهُ مَلَكًا عَلَى فَرَسٍ، فَأَرْشَدَهُ إِلَى الطَّرِيقِ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

○فإنه قد تاب من ذنبه و فعله غضبا من غير قصد منه للقتل،

فَتَوعُّدُهُمْ له ظلم منهم و جراءة.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾

قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ

فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

(وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ)

أي: قاصدا بوجهه مدين، و هو جنوبي فلسطين، حيث لا ملك لفرعون،

(قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ)

أي: وسط الطريق المختصر، الموصل إليها بسهولة و رفق،

فهداه اللّه سواء السبيل، فوصل إلى مدين.

(وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ)

مواشيهم، و كانوا أهل ماشية كثيرة

(وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ)

أي: دون تلك الأمة

(ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ)

***تُكَفْكِفَانِ غَنَمَهُمَا أَنْ تَرِدَ مَعَ غَنَمِ أُولَئِكَ الرِّعَاءِ لِئَلَّا يُؤْذَيا

❍غنمهما عن حياض الناس، لـــــــــ:–

1–عجزهما عن مزاحمة الرجال و بخلهم،

2–و عدم مروءتهم عن السقي لهما.

(قَالَ)

لهما موسى

(مَا خَطْبُكُمَاۖ)

أي: ما شأنكما بهذه الحالة(Î)

(قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ)

أي: قد جرت العادة أنه لا يحصل لنا سقي حتى يصدر الرعاء مواشيهم،

فإذا خلا لنا الجو سقينا

(وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ)

أي: لا قوة له على السقي،

فليس فينا قوة، نقتدر بها،

و لا لنا رجال يزاحمون الرعاء.

فرق لهما موسى عليه السلام و رحمهما

***فَهَذَا الْحَالُ الْمُلْجِئُ لَنَا إِلَى مَا تَرَى.

(فَسَقَىٰ لَهُمَا)

***عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه:-

أَنْ مُوسَى عليه السلام لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ،

وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ،

قَالَ: فَلَمَّا فَرَغُوا أَعَادُوا الصَّخْرَةَ عَلَى الْبِئْرِ،

وَ لَا يُطِيقُ رَفْعَهَا إِلَّا عَشَرَةُ رِجَالٍ،

فَإِذَا هُوَ بِامْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ،

القاموس المحيط (ص: 80) الخَطْبُ: الشأنُ، و الأَمْرُ صَغُرَ أو عظُمَ، ج: خُطُوبٌ.

قَالَ: مَا خَطْبُكُمَا؟

فَحَدَّثَتَاهُ، فَأَتَى الْحَجَرَ فَرَفَعَهُ،

ثُمَّ لَمْ يَسْتَقِ إِلَّا ذَنُوبًا وَاحِدًا حَتَّى رَوِيَتِ الْغَنَمُ. ( ) .

○غير طالب منهما الأجرة، و لا له قصد غير وجه اللّه تعالى،

فلما سقى لهما، و كان ذلك وقت شدة حر، وسط النهار،

بدليل

مستريحا لذلك قوله: (ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ)

الظلال بعد التعب.

(فَقَالَ)

في تلك الحالة، مسترزقا ربه

(رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٖ فَقِيرٞ)

أي: إني مفتقر للخير الذي تسوقه إليَّ و تيسره لي.

و هذا سؤال منه بحاله،

و السؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال،

فلم يزل في هذه الحالة داعيا ربه متملقا.

المصنف لابن أبي شيبة (530/11)

و أما المرأتان، فذهبتا إلى أبيهما، و أخبرتاه بما جرى.

فأرسل أبوهما إحداهما إلى موسى،

***قَالَ ابْنُ عَبَّاس: سَارَ مُوسَى مِنْ مِصْرَ إِلَى مَدْيَنَ،
لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ إِلَّا الْبَقْلُ وَ وَرَقُ الشَّجَرِ،
وَ كَانَ حَافِيًا فَمَا وَصَلَ مَدْيَن حَتَّى سَقَطَتْ نَعْلُ قَدَمِهِ.
وَ جَلَسَ فِي الظِّلِّ وَ هُوَ صَفْوَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ،
وَ إِنَّ بَطْنَهُ لَاصِقٌ بِظَهْرِهِ مِنَ الْجُوعِ،
وَ إِنَّ خُضْرَةَ الْبَقْلِ لَتُرَى مِنْ دَاخِلِ جَوْفِهِ
وَ إِنَّهُ لَمُحْتَاجٌ إِلَى شِقِّ تَمْرَةٍ.

***لَمَّا رَجَعَتِ الْمَرْأَتَانِ سِرَاعًا بِالْغَنَمِ إِلَى أَبِيهِمَا،
أَنْكَرَ حَالَهُمَا و مجيئهما سريعا، فسألهما عن خَبَرِهِمَا،
فَقَصَّتَا عَلَيْهِ مَا فَعَلَ مُوسَى عليه السلام.
فَبَعَثَ إِحْدَاهُمَا إِلَيْهِ لِتَدْعُوَهُ إِلَى أَبِيهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

(فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ)

و هذا يدل على كرم عنصرها، و خلقها الحسن،

فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة، و خصوصا في النساء.

و يدل على أن موسى عليه السلام لم يكن فيما فعله من السقي

بمنزلة الأجير و الخادم الذي لا يستحى منه عادة،

و إنما هو عزيز النفس، رأت من حسن خلقه و مكارم أخلاقه،

ما أوجب لها الحياء منه،

مَشْيَ الْحَرَائِرِ،

كَمَا رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ ﷺأَنَّهُ قَالَ:
كَانَتْ مستتَرَة بِكُمٍّ درْعها.
وَ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: عَنْ عُمَرَ بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ:
قَالَ عُمَرُ ﷺ:
جَاءَتْ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، قَائِلَةً بِثَوْبِهَا عَلَى وَجْهِهَا،
لَيْسَتْ بِسَلْفَعٍ ( ) خَرَّاجة وَلَاجَّةً.

فـــــــ(قَالَتْ) له:

(إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا)

أي: لا لِيمُنَّ عليك، بل أنت الذي ابتدأتنا بالإحسان،

و إنما قصده أن يكافئك على إحسانك، فأجابها موسى.

(فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ)

من ابتداء السبب الموجب لهربه، إلى أن وصل إليه

(قَـالَ)

مسكنا روعه، جابرا قلبه:-

(لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ)

أي: ليذهب خوفك و روعك، فإن اللّه نجاك منهم،

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: السَّلْفَعُ مِنَ الرِّجَالِ:-الْجَسُورُ،
و مِنَ النِّسَاءِ: الْجَرِيئَةُ السَّلِيطَةُ، وَ مِنَ النُّوقِ: الشَّدِيدَةُ.

حيث وصلت إلى هذا المحل، الذي ليس لهم عليه سلطان.
***وَ قَدِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي هَذَا الرَّجُلِ: مَنْ هُوَ؟
عَلَى أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا أَنَّهُ شُعَيْبٌ النَّبِيُّ ﷺ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَى أَهْلِ مَدْيَنَ.
وَ هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ كَثِيرِينَ،
وَ قَالَ آخَرُونَ: كَانَ شُعَيْبٌ قَبْلَ زَمَانِ مُوسَى عليه السلام بِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ؛
لِأَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: {وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ} [هُودٍ: 95] .
وَ قَدْ كَانَ هَلَاكُ قَوْمِ لُوطٍ فِي زَمَنِ الْخَلِيلِ عليه السلام بِنَصِّ الْقُرْآنِ،
وَ قَدْ عُلِمَ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ مُوسَى وَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ،
مُدَّةٌ طويلة تزيد على أربعمائة سنة، كما ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ.
○وَ مَا قِيلَ: إِنَّ شُعَيْبًا عَاشَ مُدَّةً طَوِيلَةً،
إِنَّمَا هُوَ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ -احْتِرَازٌ مِنْ هَذَا الْإِشْكَالِ،
ثُمَّ مِنَ الْمُقَوِّي لِكَوْنِهِ لَيْسَ بِشُعَيْبٍ أَنَّهُ لَوْ كَانَ إِيَّاهُ لَأَوْشَكَ أَنْ يَنُصَّ عَلَى اسْمِهِ فِي الْقُرْآنِ هَاهُنَا.
وَ مَا جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ مِنَ التَّصْرِيحِ بِذِكْرِهِ فِي قِصَّةِ مُوسَى
لَمْ يَصِحَّ إِسْنَادُهُ، كَمَا سَنَذْكُرُهُ قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.
ثُمَّ مِنَ الْمَوْجُودِ فِي كُتُبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ اسْمُهُ:-
"ثَبْرُونُ"، وَ اللَّهُ أَعْلَمُ.

(قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا)

أي: إحدى ابنتيه

(يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ)

أي: اجعله أجيرا عندك، يرعى الغنم و يسقيها،

(إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ)

أي: إن موسى أولى من استؤجر،

فإنه جمع القـــــوة و الأمـــــانة،

و خير أجير استؤجر، من جمعهما،

أي: القوة و القدرة على ما استؤجر عليه،

و الأمانة فيه بعدم الخيانة،

و هذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملا بإجارة أو غيرها.

فإن الخلل لا يكون إلا بفقدهما أو فقد إحداهما،

و أما باجتماعهما، فإن العمل يتم ويكمل،

و إنما قالت ذلك، لأنها شاهدت من قوة موسى عند السقي لهما ونشاطه، ما عرفت به قوته، وشاهدت من أمانته وديانته،

و أنه رحمهما في حالة لا يرجى نفعهما،

و إنما قصده بذلك وجه اللّه تعالى.

***قَالَ عدد من العلماء:

لَمَّا قَالَتْ: {إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ}

قَالَ لَهَا أَبُوهَا:وَ مَا عِلْمُك بِذَلِكَ؟

قَالَتْ:إِنَّهُ رَفَعَ الصَّخْرَةَ الَّتِي لَا يَطِيقُ حَمْلَهَا إِلَّا عَشَرَةُ رِجَالٍ،

وَ إِنَّهُ لَمَّا جِئْتُ مَعَهُ تقدمتُ أمامهُ،
فَقَالَ لِي:كُونِي مِنْ وَرَائِي،
فَإِذَا اجْتَنَبْتُ الطَّرِيقَ فَاحْذِفِي لِي بِحَصَاةٍ أَعْلَمُ بِهَا كَيْفَ الطَّرِيقُ لِأَتَهَدَّى إِلَيْهِ.

(قَالَ)

صاحب مدين لموسى

(إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَـٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَـأۡجُرَنِي)

أي تصير أجيرا عندي

(ثَمَـٰنِيَ حِجَجٖۖ)

أي: ثماني سنين.

(فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ)

تبرع منك، لا شيء واجب عليك.

(وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ)

فأحتم عشر السنين،

أو ما أريد أن أستأجرك لأكلفك أعمالا شاقة،

و إنما استأجرك لعمل سهل يسير لا مشقة فيه

(سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ)
*** لَا أُشَاقُّكَ، وَ لَا أُؤَاذِيكَ، وَ لَا أُمَارِيكَ.

❍فرغبه في سهولة العمل، و في حسن المعاملة،

و هذا يدل على أن الرجل الصالح، ينبغي له أن يحسن خلقه مهما أمكنه

و أن الذي يطلب منه، أبلغ من غيره.

فـــــ(قَالَ)

موسى عليه السلام– مجيبا له فيما طلبه منه– :

(ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ)

أي: هذا الشرط، الذي أنت ذكرت، رضيت به، و قد تم فيما بيني و بينك.

(أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ)

سواء قضيت الثماني الواجبة، أم تبرعت بالزائد عليها

(وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ)

حافظ يراقبنا، و يعلم ما تعاقدنا عليه.

و هذا الرجل، أبو المرأتين، صاحب مدين، ليس بشعيب النبي المعروف،

كما اشتهر عند كثير من الناس،

فإن هذا، قول لم يدل عليه دليل،

و غاية ما يكون، أن شعيبا عليه السلام قد كانت بلده مدين،

و هذه القضية جرت في مدين، فأين الملازمة بين الأمرين؟

و أيضا، فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب، فكيف بشخصه؟

❍و لو كان ذلك الرجل شعيبا، لذكره اللّه تعالى، و لسمته المرأتان،

و أيضا فإن شعيبا عليه السلام قد أهلك اللّه قومه بتكذيبهم إياه،

و لم يبق إلا من آمن به، و قد أعاذ اللّه المؤمنين أن يرضوا لبنتي نبيهم، بمنعهما عن الماء، و صد ماشيتهما، حتى يأتيهما رجل غريب، فيحسن إليهما، و يسقي ماشيتهما،

❍و ما كان شعيب عليه السلام ليرضى أن يرعى موسى عنده و يكون خادما له،

و هو أفضل منه و أعلى درجة، و الله أعلم،

إلا أن يقال: هذا قبل نبوة موسى فلا منافاة

و على كل حال لا يعتمد على أنه شعيب النبي عليه السلام بغير نقل صحيح عن النبي ﷺ

***** صحيح البخاري**

2684 - عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ:
سَأَلَنِي يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ الحِيرَةِ أَيَّ الأَجَلَيْنِ قَضَى مُوسَى؟
قُلْتُ: لاَ أَدْرِي، حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى حَبْرِ العَرَبِ
فَأَسْأَلَهُ، فَقَدِمْتُ، فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ،

فَقَالَ: «قَضَى أَكْثَرَهُمَا، وَ أَطْيَبَهُمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺإِذَا قَالَ فَعَلَ»( )

(الأجلين) المشار إليهما بقوله تعالى {ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك}.

(حبر العرب) المراد ابن عباس رضي الله عنهما والحبر هو العالم في الدين.

(رسول الله) المراد كل رسول ويتناول هذا موسى عليه السلام بالأولى لأن الكلام عنه]

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

(فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ)

يحتمل أنه قضى الأجل الواجب، أو الزائد عليه

كما هو الظن بموسى و وفائه،

اشتاق إلى الوصول إلى أهله و والدته و عشيرته، و وطنه،

و علم من طول المدة، أنهم قد تناسوا ما صدر منه.

(وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ)

قاصدا مصر،

(ءَانَسَ)

أي: أبصر

(مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا)

(لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ)

***نبأ

(أَوْ جَذْوَةٍ)

***قطعة

(مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ)

***تستدفئون

و كان قد أصابهم البرد، و تاهوا الطريق.

فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ

أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾

(فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ)

***مِن جَانِبِ الْوَادِي مِمَّا يَلِي الْجَبَلَ عَنْ يَمِينِهِ مِنْ نَاحِيَةِ الْغَرْبِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى :{وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ}

فَهَذَا مِمَّا يُرْشِدُ إِلَى أَنَّ مُوسَى قَصَدَ النَّارَ إِلَى جِهَةِ الْقِبْلَةِ،

وَ الْجَبَلُ الْغَرْبِيُّ عَنْ يَمِينِهِ،

وَ النَّارُ وَجَدَهَا تَضْطَرِمُ فِي شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ فِي لُحْف الْجَبَلِ

مِمَّا يَلِي الْوَادِيَ، فَوَقَفَ بَاهِتًا فِي أَمْرِهَا، فَنَادَاهُ رَبُّهُ:

{مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ}

(فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)

❍فأخبر بألوهيته و ربوبيته،

و يلزم من ذلك، أن يأمره بعبادته، و تألهه،

كما صرح به في الآية الأخرى(فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي)

وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ

يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴿٣١﴾

(وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۚ)

***كَمَا قَرَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:{وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ

أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى} [طَهَ: 17، 18] .

وَ الْمَعْنَى: أَمَّا هَذِهِ عَصَاكَ الَّتِي تَعْرِفُهَا أَلْقِهَا

{فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى}
فَعَرَفَ وَ تَحَقَّقَ أَنَّ الَّذِي يُخَاطِبُهُ وَ يُكَلِّمُهُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ لِلشَّيْءِ:- كُنْ، فَيَكُونُ. كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ فِي سُورَةِ "طَهَ".

(فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ)

***تضطرب

❍تسعى سعيا شديدا، و لها سورة مُهِيلة

(كَأَنَّهَا جَآنٌّ)

ذَكَرُ الحيات العظيم،

***فِي حَرَكَتِهَا السَّرِيعَة مَعَ عِظَمِ خَلْق قَوَائِمِهَا وَ اتِّسَاع فَمِهَا، وَ اصْطِكَاكِ أَنْيَابِهَا وَ أَضْرَاسِهَا، بِحَيْثُ لَا تَمُرُّ بِصَخْرَةٍ إِلَّا ابْتَلَعَتْهَا، فَتَنْحَدِرُ فِي فِيهَا تَتَقَعْقَعُ، كَأَنَّهَا حَادِرَةٌ فِي وَادٍ. فَعِنْدَ ذَلِكَ

(وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ)

***وَ لَمْ يَكُنْ يَلْتَفِتُ

أي: يرجع، لاستيلاء الروع على قلبه،

***لِأَنَّ طَبْعَ الْبَشَرِيَّةِ يَنْفِرُ مِنْ ذَلِكَ.

فقال اللّه له:(يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ)

و هذا أبلغ ما يكون في التأمين، و عدم الخوف.

فإن قوله: (أَقْبِلْ)

يقتضي الأمر بإقباله، و يجب عليه الامتثال،

و لكن قد يكون إقباله، و هو لم يزل في الأمر المخوف،

فقال: ﴿وَلَا تَخَفۡۖ﴾

أمر له بشيئين:–

1–إقبـــــاله،

2–و أن لا يكون في قلبه خوف،

و لكن يبقى احتمال،

و هو أنه قد يقبل و هو غير خائف،

و لكن لا تحصل له الوقاية و الأمن من المكروه،

فقال : ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾

فحينئذ اندفع المحذور من جميع الوجوه،

فأقبل موسى عليه السلام غير خائف و لا مرعوب، بل مطمئنا، واثقا بخبر ربه،

قد ازداد إيمانه، و تم يقينه،

فهذه آية، أراه اللّه إياها قبل ذهابه إلى فرعون،

ليكون على يقين تام، فيكون أجرأ له، و أقوى و أصلب.

ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿٣٣﴾

وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾

ثم أراه الآية الأخرى فقال: (ٱسۡلُكۡ يَدَكَ)

أي: أدخلها

(ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ)

***الميسر:أدخل يدك في فتحة قميصك المفتوحة إلى الصدر**

فسلكها و أخرجها، كما ذكر اللّه تعالى.

*** إِذَا أَدْخَلْتَ يَدَكَ فِي جَيْبِ دِرْعِك ثُمَّ أَخْرَجْتَهَا فَإِنَّهَا

(تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ)

تَتَلَأْلَأُ كَأَنَّهَا قِطْعَةُ قَمَرٍ فِي لَمَعَانِ الْبَرْقِ؛

وَ لِهَذَا قَالَ: {مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ}

أَيْ: مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ.

(وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ)

أي ضم جناحك و هو عضدك إلى جنبك يزول عنك الرهب و الخوف.

***الجزائري:اضمم يدك بأن تضعها على صدرك ليذهب روعك.**

(فَذَٰنِكَ)

***الميسر:-فهاتان اللتان**

انقلاب العصا حية، و خروج اليد بيضاء من غير سوء

(بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ)

أي: حجتان قاطعتان من اللّه،

(إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ)

***وَ قَوْمِهِ مِنَ الرُّؤَسَاءِ وَ الْكُبَرَاءِ وَ الْأَتْبَاعِ،

(إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ)

***خَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ الله، مخالفين لدين الله، و الله أعلم.

❍فلا يكفيهم مجرد الإنذار و أمر الرسول إياهم،

بل لا بد من الآيات الباهرة، إن نفعت.

فـــــ(قَالَ)

موسى عليه السلام.

معتذرا من ربه، و سائلا له المعونة على ما حمله،

و ذاكرا له الموانع التي فيه، ليزيل ربه ما يحذره منها.

(رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا)

***ذلك القبطى

(فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ)

***إذا رأونى

(وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّى لِسَانًا)(Î)

***وَ ذَلِكَ أَنَّ مُوسَىﷺكَانَ فِي لِسَانِه لَثْغَةٌ، بِسَبَبِ مَا كَانَ تَنَاوَلَ تِلْكَ الْجَمْرَةَ، حِينَ خُيّر بَيْنَهَا وَ بَيْنَ التَّمْرَةِ أَوِ الدُّرَّةِ،

فَأَخَذَ الْجَمْرَةَ فَوَضَعَهَا عَلَى لِسَانِهِ، فَحَصَلَ فِيهِ شِدَّةٌ فِي التَّعْبِيرِ؛

وَ لِهَذَا قَالَ:{وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي} [طَهَ: 27 -32]

أَيْ: يُؤْنِسُنِي فِيمَا أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الْعَظِيمِ،

وَ هُوَ الْقِيَامُ بِأَعْبَاءِ النُّبُوَّةِ وَ الرِّسَالَةِ إِلَى هَذَا الْمَلِكِ الْمُتَكَبِّرِ الْجَبَّارِ الْعَنِيدِ.

(فَأَرۡسِلۡهُ مَعِىَ رِدۡءًا)

أي: معاونا و مساعدا

(يُصَدِّقُنِىٓ)

فإنه مع تضافر الأخبار يقوى الحق

***لِأَنَّ خَبَرَ اثْنَيْنِ أَنْجَعُ فِي النُّفُوسِ مِنْ خَبَرِ وَاحِدٍ؛ وَ لِهَذَا قَالَ: -

(إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ)

فأجابه اللّه إلى سؤاله

فـــــ(قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ)

أي: نعاونك به و نقويك.

***كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:{قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى} [طَه: 36]

وَ قَالَ تَعَالَى:{وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا} [مَرْيَم: 53]

وَ لِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ:-

لَيْسَ أَحَدٌ أَعْظَمَ مِنَّةً عَلَى أَخِيهِ، مِنْ مُوسَى عَلَى هَارُونَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَإِنَّهُ شُفِّعَ فِيهِ حَتَّى جَعَلَهُ اللَّهُ نَبِيًّا وَ رَسُولًا مَعَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَئِهِ،

وَ لِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ مُوسَى: {وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا} [الْأَحْزَابِ: 69]

○ثم أزال عنه محذور القتل،

فقال:(وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا)

أي: تسلطا، و تمكنا من الدعوة، بالحجة، و الهيبة الإلهية من عدوهما لهما،

(فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا)

*الميسر:بسوء

(بِآيَاتِنَا)

و ذلك بسبب آياتنا، و ما دلت عليه من الحق،

و ما أزعجت به من باشرها و نظر إليها،

فهي التي بها حصل لكما السلطان،

و اندفع بها عنكم، كيد عدوكم

و صارت لكم أبلغ من الجنود، أولي الْعَدَدِ و الْعُدَدِ.

(أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ)

و هذا وعد لموسى في ذلك الوقت، و هو وحده فريد،

و قد رجع إلى بلده، بعد ما كان شريدا،

فلم تزل الأحوال تتطور، و الأمور تنتقل،

حتى أنجز الله له موعوده، و مكنه من العباد و البلاد،

و صار له و لأتباعه، الغلبة و الظهور.

***كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ:

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ

وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [الْمَائِدَةِ: 67]

وَ قَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلا اللَّهَ

وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا} [الْأَحْزَابِ: 39]

أَيْ: وَ كَفَى بِاللَّهِ نَاصِرًا وَ مُعِينًا وَ مُؤَيِّدًا.

وَ لِهَذَا أَخْبَرَهُمَا أَنَّ الْعَاقِبَةَ لَهُمَا و لِمَنْ اتَّبَعَهُمَا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ،

فَقَالَ: {أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ}

كما قال تَعَالَى:{كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}[الْمُجَادَلَةِ: 21]

وَ قَالَ تَعَالَى:{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غَافِرٍ: 51، 52] .

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

فذهب موسى برسالة ربه

(فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ)

واضحات الدلالة على ما قال لهم، ليس فيها قصور و لا خفاء.

(قَالُوٓاْ)

على وجه الظلم و العلو و العناد

(مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى)

كما قال فرعون في تلك الحالة التي ظهر فيها الحق،

و استعلى على الباطل،

و اضمحل الباطل،

و خضع له الرؤساء العارفون حقائق الأمور

(إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ)

هذا،

و هو الذكي غير الزكي الذي بلغ من المكر و الخداع و الكيد ما قصه اللّه علينا

و قد علم(مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)

و لكن الشقاء غالب.

(وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ)

و قد كذبوا في ذلك،

فإن اللّه أرسل يوسف عليه السلام قبل موسى، كما قال تعالى

(وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ

مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ)

(وَقَالَ مُوسَىٰ)

حين زعموا أن الذي جاءهم به سحر و ضلال

و أن ما هم عليه هو الهدى:

(رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ)

***النُّصْرَةُ وَ الظَّفَرُ وَ التَّأْيِيدُ،

أي: إذا لم تفد المقابلة معكم، و تبيين الآيات البينات،

و أبيتم إلا التمادي في غيكم و اللجاج على كفركم،

فاللّه تعالى العالم بالمهتدي و غيره،

و من تكون له عاقبة الدار، نحن أم أنتم

(إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ)

فصار عاقبة الدار لموسى و أتباعه، و الفلاح و الفوز،

و صار لأولئك، الخسار و سوء العاقبة و الهلاك.

(وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ)

متجرئا على ربه، و مموها على قومه السفهاء، أخفاء العقول:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي)

أي: أنا وحدي، إلهكم و معبودكم،

و لو كان ثَمَّ إله غيري، لعلمته،

فانظر إلى هذا الورع التام من فرعون!، حيث لم يقل « ما لكم من إله غيري »

بل تورع و قال: (مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي)

و هذا، لأنه عندهم، العالم الفاضل،

الذي مهما قال فهو الحق،

و مهما أمر أطاعوه.

فلما قال هذه المقالة، التي قد تحتمل أن ثَمَّ إلها غيره، أراد أن يحقق النفي،

الذي جعل فيه ذلك الاحتمال،

فقال لـ " هامان "

(فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ)

ليجعل له لبنا من فخار.

(فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا)

أي: بناء

***وَ هُوَ الْقَصْرُ الْمُنِيفُ الرَّفِيعُ

***كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَابٍ}

[غَافِر: 36، 37] ،

وَ ذَلِكَ لِأَنَّ فِرْعَوْنَ بَنَى هَذَا الصَّرْحَ الَّذِي لَمْ يُرَ فِي الدُّنْيَا بِنَاءٌ أَعْلَى مِنْهُ،

إِنَّمَا أَرَادَ بِهَذَا أَنْ يُظْهِرَ لِرَعِيَّتِهِ تَكْذِيبَ مُوسَى فِيمَا زَعَمَهُ مِنْ دَعْوَى إِلَهٍ غَيْرِ فِرْعَوْنَ

﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾

***فِي قَوْلِهِ إِنَّ ثَمّ رَبًّا غَيْرِي، لَا أَنَّهُ كَذَّبَهُ فِي أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ؛

لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْتَرِفُ بِوُجُودِ الصَّانِعِ،

فَإِنَّهُ قَالَ:{وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الشُّعَرَاءِ: 23]

وَ قَالَ:{لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ}[الشُّعَرَاءِ: 29]

و لكن سنحقق هذا الظن، و نريكم كذب موسى.

فانظر هذه الجراءة العظيمة على اللّه، التي ما بلغها آدمي، كذب موسى،

و ادَّعى أنه إله، و نفى أن يكون له علم بالإله الحق، و فعل الأسباب،

ليتوصل إلى إله موسى، و كل هذا ترويج،

و لكن العجب من هؤلاء الملأ الذين يزعمون أنهم كبار المملكة

المدبرون لشئونها، كيف لعب هذا الرجل بعقولهم، و استخف أحلامهم،

و هذا لفسقهم الذي صار صفة راسخة فيهم.

فسد دينهم، ثم تبع ذلك فساد عقولهم،

فنسألك اللهم الثبات على الإيمان،

و أن لا تزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا،

و تهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾

استكبروا على عباد اللّه،

و ساموهم سوء العذاب،

و استكبروا على رسل اللّه،

و ما جاءوهم به من الآيات، فكذبوها،

و زعموا أن ما هم عليه أعلى منها و أفضل.

(وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ)

فلذلك تجرؤوا، و إلا فلو علموا،

أو ظنوا أنهم يرجعون إلى اللّه، لما كان منهم ما كان.

***طَغَوْا وَ تَجَبَّرُوا، وَ أَكْثَرُوا فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ،
وَ اعْتَقَدُوا أَنَّهُ لَا مَعَادَ وَ لَا قِيَامَةَ

{فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍإِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} [الفجر: 13، 14] ،

و لهذا قال ها هنا: –

(فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ)

عندما استمر عنادهم و بغيهم

(فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ)
***أَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْبَحْرِ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ

(فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ)

كانت شر العواقب و أخسرها عاقبة أعقبتها العقوبة الدنيوية المستمرة،

المتصلة بالعقوبة الأخروية.

(وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ)

***و جعلنا فرعون و قومه قادة إلى النار، يَقتدي بهم أهل الكفر و الفسق،

❍أي جعلنا فرعون و ملأه من الأئمة الذين يقتدي بهم

و يمشي خلفهم إلى دار الخزي و الشقاء.

***لِمَنْ سَلَكَ وَرَاءَهُمْ وَ أَخَذَ بِطَرِيقَتِهِمْ،فِي تَكْذِيبِ الرُّسُلِ وَ تَعْطِيلِ الصَّانِعِ

(وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ)

***الميسر:**و ذلك بسبب كفرهم و تكذيبهم رسول ربهم

و إصرارهم على ذلك.**

❍من عذاب اللّه، فهم أضعف شيء، عن دفعه عن أنفسهم،

و ليس لهم من دون اللّه، من ولي و لا نصير.

***فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ خِزْيُ الدُّنْيَا مَوْصُولًا بِذُلِّ الْآخِرَةِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ}[مُحَمَّدٍ: 13]

(وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا)

أي:و أتبعناهم، زيادة في عقوبتهم و خزيهم، في الدنيا

(لَعۡنَةٗۖ)

يلعنون، و لهم عند الخلق الثناء القبيح و المقت و الذم،

و هذا أمر مشاهد، فهم أئمة الملعونين في الدنيا و مقدمتهم،

(وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ)

المبعدين، المستقذرة أفعالهم.

الذين اجتمع عليهم مقت اللّه، و مقت خلقه، و مقت أنفسهم.

***قَالَ قَتَادَةُ: وَ هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ} [هود: 99] .

(وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ)

و هو التوراة

(مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ)

***الميسر:** كقوم نوح وعاد و ثمود و قوم لوط و أصحاب «مدين»

❍الذين كان خاتمتهم في الإهلاك العام، فرعون و جنوده.

و هذا دليل على أنه بعد نزول التوراة، انقطع الهلاك العام،

و شرع جهاد الكفار بالسيف.

***أَنَّهُ بَعْدَ إِنْزَالِ التَّوْرَاةِ لَمْ يُعَذِّبْ أُمَّةً بِعَامَّةٍ،

بَلْ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُقَاتِلُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،

كَمَا قَالَ:{وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ* فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ

فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً}[الْحَاقَّةِ: 9، 10]

وَ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي ﷺقَالَ:-

مَا أَهْلَكَ اللَّهُ قَوْمًا بِعَذَابٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ لَا مِنَ الْأَرْضِ

بَعْدَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ،

غَيْرَ الْقَرْيَةِ الَّتِي مُسِخُوا قِرَدَةً،
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ:
{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولَى} ( ) .

(بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ)

أي: كتاب اللّه، الذي أنزله على موسى،

فيه بصائر للناس أي:–

أمور يبصرون بها ما ينفعهم، و ما يضرهم،

فتقوم الحجة على العاصي،

و ينتفع بها المؤمن، فتكون رحمة في حقه، و هداية له إلى الصراط المستقيم،

و لهذا قال: (وَهُدًى)

***إلى الحق

(وَرَحْمَةً)

***ارشادا للأعمال الصالحة

(لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)

***لَعَلَّ النَّاسَ يَتَذَكَّرُونَ بِهِ، و يهتدون بسببه.

❍و لما قص اللّه على رسوله ما قص من هذه الأخبار الغيبية،

نبه العباد على أن هذا خبر إلهي محض،

تفسير الطبري (50/20) .

ليس للرسول، طريق إلى علمه إلا من جهة الوحي، و لهذا قال:

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

(وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ)

أي: بجانب الطور الغربي

(إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ)

وقت قضائنا لموسى الأمر

***وَ قَالَ قَتَادَةُ: {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا}

مُوسَى. وَ هَذَا –وَ اللَّهُ أَعْلَمُ -أَشْبَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ} .

ثُمَّ أَخْبَرَ هَاهُنَا بِصِيغَةٍ أُخْرَى أَخَصَّ مِنْ ذَلِكَ، وَ هُوَ النِّدَاءُ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى} [الشُّعَرَاءِ: 10]

وَقَالَ: {إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} [النَّازِعَاتِ: 16]

وَ قَالَ: {وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} [مَرْيَمَ: 52] .

(وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ)

على ذلك، حتى يقال: إنه وصل إليك من هذا الطريق.

(وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُ)

فاندرس العلم، و نسيت آياته،

فبعثناك في وقت اشتدت الحاجة إليك و إلى ما علمناك و أوحينا إليك.

(وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا)

أي: مقيما

(فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِنَا)

أي: تعلمهم و تتعلم منهم

حتى أخبرت بما أخبرت من شأن موسى في مدين

(وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ)

أي:و لكن ذلك الخبر الذي جئت به عن موسى،

أثر من آثار إرسالنا إياك، وَ وَحْيٌ لا سبيل لك إلى علمه، بدون إرسالنا.

(وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا)

موسى،

وَ أمرناه أن يأتي القوم الظالمين، و يبلغهم رسالتنا،

و يريهم من آياتنا و عجائبنا ما قصصنا عليك.

و المقصود: أن الماجريات، التي جرت لموسى عليه السلام في هذه الأماكن،

فقصصتها كما هي، من غير زيادة و لا نقص، لا يخلو من أحد أمرين:-

1-إما أن تكون حضرتها و شاهدتها،

2-أو ذهبت إلى محالِّها فتعلمتها من أهلها،

فحينئذ قد لا يدل ذلك على أنك رسول اللّه،

إذ الأمور التي يخبر بها عن شهادة و دراسة،

من الأمور المشتركة غير المختصة بالأنبياء،

و لكن هذا قد عُلِمَ و تُيُقِّن أنه ما كان و ما صار

فأولياؤك و أعداؤك يعلمون عدم ذلك.

فتعين الأمر الثاني، و هو:-

أن هذا جاءك من قِبَلِ اللّه و وحيه و إرساله،

فثبت بالدليل القطعي، صحة رسالتك، و رحمة اللّه بك للعباد،

و لهذا قال:

(وَلَـٰكِن رَّحۡمَةً مِّن رَّبِّكَ)

*** مَا كُنْتَ مُشَاهِدًا لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَ لَكِنَّ اللَّهَ أَوْحَاهُ إِلَيْكَ وَ أَخْبَرَكَ بِهِ، رَحْمَةً مِنْهُ لَكَ وَ بِالْعِبَادِ بِإِرْسَالِكَ إِلَيْهِمْ،

(لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبۡلِكَ)

أي: العرب، و قريش،

فإن الرسالة عندهم لا تعرف وقت إرسال الرسول و قبله بأزمان متطاولة،

(لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ)

تفصيل الخير فيفعلونه، و الشر فيتركونه،

فإذا كنت بهذه المنزلة،

كان الواجب عليهم، المبادرة إلى الإيمان بك، و شكر هذه النعمة،

التي لا يقادر قدرها،و لا يدرك شكرها.

و إنذاره للعرب لا ينفي أن يكون مرسلا لغيرهم، فإنه عربي،

و القرآن الذي أنزل عليه عربي، و أول من باشر بدعوته العرب،

فكانت رسالته إليهم أصلا و لغيرهم تبعا، كما قال تعالى

(أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا)

(وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ)

من الكفر و المعاصي

(فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)

أي: فأرسلناك يا محمد، لدفع حجتهم، و قطع مقالتهم.

***وَ أَرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِمْ لِتُقِيمَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ
وَ لِتَقْطَعَ عُذْرَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ بِكُفْرِهِمْ،
فَيَحْتَجُّوا بِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتِهِمْ رَسُولٌ وَ لَا نَذِيرٌ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِهِ إِنْزَالَ كِتَابِهِ الْمُبَارَكِ وَ هُوَ الْقُرْآنُ:

{أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ} [الْأَنْعَامِ: 156، 157]

وَ قَالَ:{رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النِّسَاءِ: 165]

وَ قَالَ تَعَالَى:{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الْمَائِدَةِ: 19] ،

(فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ)

الذي لا شك فيه

(مِنۡ عِندِنَا)

و هو القرآن، الذي أوحيناه إليك

(قَالُواْ)

مكذبين له، و معترضين بما ليس يعترض به:

(لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ)

***يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ لَوْ عَذَّبَهُمْ قَبْلَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، لَاحْتَجُّوا بِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتِهِمْ رَسُولٌ:

أَنَّهُمْ لَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِهِ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍﷺقالوا على وَجْهِ:-

التَّعَنُّتِ وَ الْعِنَادِ وَ الْكُفْرِ وَ الْجَهْلِ وَ الْإِلْحَادِ:

{لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ}

يَعْنُونَ –وَ اللَّهُ أَعْلَمُ -: مِنَ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ، مِثْلَ:-

الْعَصَا وَ الْيَدِ، وَ الطُّوفَانِ وَ الْجَرَادِ وَ الْقُمَّلِ وَ الضَّفَادِعِ وَ الدَّمِ، وَ تَنَقُّصِ الزُّرُوعِ وَ الثِّمَارِ،مِمَّا يَضِيقُ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ،

وَ كَفَلْقِ الْبَحْرِ، وَ تَظْلِيلِ الْغَمَامِ، وَ إِنْزَالِ المَنِّ وَالسَّلْوَى، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ، وَ الْحُجَجِ الْقَاهِرَةِ، الَّتِي أَجْرَاهَا اللَّهُ عَلَى يَدَيْ مُوسَى عليه السلام حُجَّةً وَ بَرَاهِينَ لَهُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ،

وَ مَعَ هَذَا كُلِّهِ لَمْ يَنْجَعْ فِي فِرْعَوْنَ وَ مَلَئِهِ،

بَلْ كَفَرُوا بِمُوسَى وَأَخِيهِ هَارُونَ،

كَمَا قَالُوا لَهُمَا: {أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ} [يُونُسَ: 78]

وَ قَالَ تَعَالَى: {فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ} [الْمُؤْمِنُونَ: 48]

وَ لِهَذَا قَالَ هَاهُنَا

أي: أنزل عليه كتاب من السماء جملة واحدة.

أي: فأما ما دام ينزل متفرقا، فإنه ليس من عند اللّه.

و أي دليل في هذا؟

و أي شبهة أنه ليس من عند اللّه، حين نزل مفرقا؟

بل من كمال هذا القرآن، و اعتناء اللّه بمن أنزل عليه، أن نزل متفرقا

ليثبت اللّه به فؤاد رسوله، و يحصل زيادة الإيمان للمؤمنين

(وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)

و أيضا، فإن قياسهم على كتاب موسى، قياس قد نقضوه

فكيف يقيسونه على كتاب كفروا به و لم يؤمنوا؟

و لهذا قال(أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا)

أي: القرآن و التوراة، تعاونا في سحرهما، و إضلال الناس

***لِأَنَّهُ قَالَ بَعْدَهُ:{قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ}

وَ كَثِيراً مَا يُقْرِنُ اللَّهُ بَيْنَ التَّوْرَاةِ وَ الْقُرْآنِ،

كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى

{قُلْ مَنْ أَنزلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ}

إِلَى أَنْ قَالَ: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنزلْنَاهُ مُبَارَكٌ} [الأنعام: 91، 92] ،

***وَ قَالَ فِي آخِرِ السُّورَةِ:{ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ}

إِلَى أَنْ قَالَ: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنزلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}

[الْأَنْعَامِ: 155]

وَ قَالَتِ الْجِنُّ:{إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ}

[الْأَحْقَافِ: 30]

***اعراب سحران:خبر لمبتدا محذوف تقديره(هما)**

أى التوراة و القرآن و علامه رفعه الالف لانه مثنى

(وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ)

فثبت بهذا أن القوم يريدون إبطال الحق بما ليس ببرهان

و ينقضونه بما لا ينقض، و يقولون الأقوال المتناقضة المختلفة،

و هذا شأن كل كافر.

و لهذا صرح أنهم كفروا بالكتابين و الرسولين،

و لكن هل كفرهم بهما كان طلبا للحق،

و اتباعا لأمر عندهم خير منهما، أم مجرد هوى؟.

قال تعالى ملزما لهم بذلك:

(قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ)

أي: من التوراة و القرآن

(أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ)

و لا سبيل لهم و لا لغيرهم أن يأتوا بمثلهما،

فإنه ما طرق العالم منذ خلقه اللّه، مثل هذين الكتابين، علما و هدى، و بيانا،

و رحمة للخلق،

و هذا من كمال الإنصاف من الداعي أن قال:–

أنا مقصودي الحق و الهدى و الرشد،

و قد جئتكم بهذا الكتاب المشتمل على ذلك، الموافق لكتاب موسى،

فيجب علينا جميعا الإذعان لهما و اتباعهما، من حيث كونهما هدى و حقا،

فإن جئتموني بكتاب من عند اللّه هو أهدى منهما اتبعته،

و إلا فلا أترك هدى و حقا قد علمته لغير هدى و حق

(فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ)

فلم يأتوا بكتاب أهدى منهما

(فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ)

أي: فاعلم أن تركهم اتباعك،

ليسوا ذاهبين إلى حق يعرفونه، و لا إلى هدى،

و إنما ذلك مجرد اتباع لأهوائهم

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ)

فهذا من أضل الناس،

حيث عرض عليه الهدى، و الصراط المستقيم،

الموصل إلى اللّه و إلى دار كرامته،

فلم يلتفت إليه و لم يقبل عليه،

و دعاه هواه إلى سلوك الطرق الموصلة إلى الهلاك و الشقاء

فاتبعه و ترك الهدى،

فهل أحد أضل ممن هذا وصفه؟

و لكن ظلمه و عدوانه، و عدم محبته للحق، هو الذي أوجب له أن:-

يبقى على ضلاله و لا يهديه اللّه،

فلهذا قال: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ)

أي: الذين صار الظلم لهم وصفا و العناد لهم نعتا،

جاءهم الهدى فرفضوه

و عرض لهم الهوى، فتبعوه،

سدوا على أنفسهم أبواب الهداية و طرقها،

و فتحوا عليهم أبواب الغواية و سبلها،

فهم في غيهم و ظلمهم يعمهون، و في شقائهم و هلاكهم يترددون.

و في قوله:(فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ)

دليل على أن كل من لم يستجب للرسول،

و ذهب إلى قول مخالف لقول الرسول،

فإنه لم يذهب إلى هدى، و إنما ذهب إلى هوى.

۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ

فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾

وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ

وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

(وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ)

***أي قريشا

○أي: تابعناه و واصلناه، و أنزلناه شيئا فشيئا، رحمة بهم و لطفا

(لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)

حين تتكرر عليهم آياته، و تنزل عليهم بيناته وقت الحاجة إليها.

فصار نزوله متفرقا رحمة بهم، فلم اعترضوا على ما هو من مصالحهم؟

[*]*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

***قال ابن جرير عن يحيى بن جعدة رضي الله عنه**

قال نزلت هذه الآية في عشرة أنا أحدهم

{وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (◻)

<u>فصل في ذكر بعض الفوائد و العبر في هذه القصة العجيبة :-</u>

1-أن آيات اللّه تعالى و عبره، و أيامه في الأمم السابقة

إنما يستفيد بها و يستنير المؤمنون،

فعلى حسب إيمان العبد تكون عبرته،

و إن اللّه تعالى إنما يسوق القصص، لأجلهم،

و أما غيرهم، فلا يعبأ اللّه بهم، و ليس لهم منها نور و هدى.

2-أن اللّه تعالى إذا أراد أمرا هيأ أسبابه

و أتى بها شيئا فشيئا بالتدريج، لا دفعة واحدة.

3-أن الأمة المستضعفة، و لو بلغت في الضعف ما بلغت،

---

[*] الحديث أخرجه الطبراني ج5 ص46 و47، و قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج7 ص88 رواه الطبراني بإسنادين أحدهما متصل رجاله ثقات وهو هذا، و الآخر منقطع الإسناد.

لا ينبغي لها أن يستولي عليها الكسل عن طلب حقها،
و لا الإياس من ارتقائها إلى أعلى الأمور،
خصوصا إذا كانوا مظلومين، كما استنقذ اللّه أمة بني إسرائيل، الأمة الضعيفة،
من أسر فرعون و ملئه، و مكنهم في الأرض، و ملكهم بلادهم.
4-أن الأمة ما دامت ذليلة مقهورة لا تأخذ حقها و لا تتكلم به،
لا يقوم لها أمر دينها و لا دنياها و لا يكون لها إمامة فيه.
5-لطف اللّه بأم موسى، و تهوينه عليها المصيبة بالبشارة،
بأن اللّه سيرد إليها ابنها، و يجعله من المرسلين.
6-أن اللّه يقدر على عبده بعض المشاق، لينيله سرورا أعظم من ذلك،
أو يدفع عنه شرا أكثر منه،
كما قدر على أم موسى ذلك الحزن الشديد، و الهم البليغ، الذي هو وسيلة
إلى أن يصل إليها ابنها، على وجه تطمئن به نفسها، و تقر به عينها،
و تزداد به غبطة و سرورا.
7-أن الخوف الطبيعي من الخلق، لا ينافي الإيمان و لا يزيله،
كما جرى لأم موسى و لموسى من تلك المخاوف.
8-أن الإيمان يزيد و ينقص.
و أن من أعظم ما يزيد به الإيمان، و يتم به اليقين، الصبر عند المزعجات،
و التثبيت من اللّه، عند المقلقات، كما قال تعالى.
(لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)

أي: ليزداد إيمانها بذلك و يطمئن قلبها.

9–أن من أعظم نعم اللّه على عبده، و أعظم معونة للعبد على أموره، تثبيت اللّه إياه، و ربط جأشه و قلبه عند المخاوف، و عند الأمور المذهلة، فإنه بذلك يتمكن من القول الصواب، و الفعل الصواب،

بخلاف من استمر قلقه و روعه، و انزعاجه،

فإنه يضيع فكره، و يذهل عقله، فلا ينتفع بنفسه في تلك الحال.

10–أن العبد – و لو عرف أن القضاء و القدر و وعد اللّه نافذ لا بد منه– فإنه لا يهمل فعل الأسباب التي أمر بها،

و لا يكون ذلك منافيا لإيمانه بخبر اللّه

فإن اللّه قد وعد أم موسى أن يرده عليها،

و مع ذلك، اجتهدت على رده، و أرسلت أخته لتقصه و تطلبه.

11–جواز خروج المرأة في حوائجها، و تكليمها للرجال، من غير محذور، كما جرى لأخت موسى و ابنتي صاحب مدين.

12–جواز أخذ الأجرة على الكفالة و الرضاع،

و الدلالة على من يفعل ذلك.

13–أن اللّه من رحمته بعبده الضعيف الذي يريد إكرامه، أن يريه من آياته، و يشهده من بيناته، ما يزيد به إيمانه، كما رد الله موسى على أمه، لتعلم أن وعد اللّه حق.

14–أن قتل الكافر الذي له عهد بعقد أو عرف، لا يجوز

فإن موسى عليه السلام عدَّ قتله القبطي الكافر ذنبا، و استغفر اللّه منه.

15–أن الذي يقتل النفوس بغير حق يعد من الجبارين الذين يفسدون في الأرض.

16–أن من قتل النفوس بغير حق، و زعم أنه يريد الإصلاح في الأرض، و تهييب أهل المعاصي، فإنه كاذب في ذلك
و هو مفسد كما حكى اللّه قول القبطي
﴿إِنْ تُرِيدُ إِلا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾
على وجه التقرير له، لا الإنكار.

17–أن إخبار الرجل غيره بما قيل فيه، على وجه التحذير له من شر يقع فيه، لا يكون ذلك نميمة – بل قد يكون واجبا– كما أخبر ذلك الرجل لموسى، ناصحا له و محذرا.

18–أنه إذا خاف القتل و التلف في الإقامة،
فإنه لا يلقي بيده إلى التهلكة، و لا يستسلم لذلك
بل يذهب عنه، كما فعل موسى.

19–أنه عند تزاحم المفسدتين،
إذا كان لا بد من ارتكاب إحداهما أنه يرتكب الأخف منهما و الأسلم،
كما أن موسى، لما دار الأمر بين بقائه في مصر و لكنه يقتل،
أو يذهب إلى بعض البلدان البعيدة، التي لا يعرف الطريق إليها،
و ليس معه دليل يد له غير ربه،

و لكن هذه الحالة أقرب للسلامة من الأولى، فتبعها موسى.

20–أن الناظر في العلم عند الحاجة إلى التكلم فيه،

إذا لم يترجح عنده أحد القولين، فإنه يستهدي ربه

و يسأله أن يهديه الصواب من القولين،

بعد أن يقصد بقلبه الحق و يبحث عنه،

فإن اللّه لا يخيب مَنْ هذه حاله. كما خرج موسى تلقاء مدين فقال:–

(عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ)

21–أن الرحمة بالخلق، و الإحسان على من يعرف و من لا يعرف،

من أخلاق الأنبياء، و أن من الإحسان سقي الماشية الماء، و إعانة العاجز.

22–استحباب الدعاء بتبيين الحال و شرحها، و لو كان اللّه عالما لها،

لأنه تعالى، يحب تضرع عبده وإظهار ذله ومسكنته، كما قال موسى:

(رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)

23–أن الحياء – خصوصا من الكرام– من الأخلاق الممدوحة.

24–المكافأة على الإحسان لم يزل دأب الأمم السابقين.

25–أن العبد إذا فعل العمل للّه تعالى،

ثم حصل له مكافأة عليه من غير قصد بالقصد الأول،

أنه لا يلام على ذلك، كما قبل موسى مجازاة صاحب مدين عن معروفه الذي

لم يبتغ له، و لم يستشرف بقلبه على عوض.

26–مشروعية الإجارة، و أنها تجوز على رعاية الغنم و نحوها،

مما لا يقدر العمل، و إنما مرده، العرف.

27–أنه تجوز الإجارة بالمنفعة، و لو كانت المنفعة بضعا.

28–أن خطبة الرجل لابنته الرجل الذي يتخيره، لا يلام عليه.

29–أن خير أجير و عامل يعمل للإنسان، أن يكون قويا أمينا.

30–أن من مكارم الأخلاق،أن يُحَسِّن خلقه لأجيره،و خادمه، و لا يشق عليه بالعمل، لقوله:

(وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)

31–جواز عقد الإجارة و غيرها من العقود من دون إشهاد لقوله:

(وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ)

32–ما أجرى اللّه على يد موسى من الآيات البينات،و المعجزات الظاهرة، من الحية، و انقلاب يده بيضاء من غير سوء، و من عصمة اللّه لموسى و هارون، من فرعون، و من الغرق.

33–أن من أعظم العقوبات أن يكون الإنسان إماما في الشر، و ذلك بحسب معارضته لآيات اللّه و بيناته، كما أن من أعظم نعمة أنعم اللّه بها على عبده، أن يجعله إماما في الخير هاديا مهديا.

34–ما فيها من الدلالة على رسالة محمد ﷺ حيث أخبر بذلك تفصيلا مطابقا، و تأصيلا موافقا، قصه قصا، صدق به المرسلين،

و أيد به الحق المبين، من غير حضور شيء من تلك الوقائع،
و لا مشاهدة لموضع واحد من تلك المواضع،
و لا تلاوة درس فيها شيئا من هذه الأمور،
و لا مجالسة أحد من أهل العلم، إن هو إلا رسالة الرحمن الرحيم،
و وحي أنزله عليه الكريم المنان، لينذر به قوما جاهلين،
و عن النذر و الرسل غافلين.
فصلوات اللّه وسلامه، على من مجرد خبره ينبئ أنه رسول اللّه،
و مجرد أمره ونهيه ينبه العقول النيرة، أنه من عند اللّه،
كيف و قد تطابق على صحة ما جاء به، و صدقه خبر الأولين و الآخرين،
و الشرع الذي جاء به من رب العالمين،
و ما جبل عليه من الأخلاق الفاضلة، التي لا تناسب،
و لا تصلح إلا لأعلى الخلق درجة، و النصر المبين لدينه و أمته،
حتى بلغ دينه مبلغ الليل والنهار،
و فتحت أمته معظم بلدان الأمصار، بالسيف والسنان، و قلوبهم بالعلم
و الإيمان.
و لم تزل الأمم المعاندة، و الملوك الكفرة المتعاضدة، ترميه بقوس واحدة،
و تكيد له المكايد، و تمكر لإطفائه و إخفائه، و إخماده من الأرض،
و هو قد بهرها وعلاها، لا يزداد إلا نموا،
و لا آياته وبراهينه إلا ظهورا،

و كل وقت من الأوقات، يظهر من آياته

ما هو عبرة لِلْعَالَمِينَ،

و هداية لِلْعَالمِينَ،

و نور و بصيرة للمتوسمين. و الحمد للّه وحده.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾

يذكر تعالى عظمة القرآن و صدقه و حقه

و أن أهل العلم بالحقيقة يعرفونه و يؤمنون به و يقرون بأنه الحق

(ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ)

و هم أهل التوراة، و الإنجيل، الذين لم يغيروا و لم يبدلوا

(هُم بِهِۦ)

أي: بهذا القرآن و من جاء به

(يُؤۡمِنُونَ)

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:-

{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ}[الْبَقَرَةِ: 121]

وَ قَالَ:{وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ}[آلِ عِمْرَانَ: 199]

وَ قَالَ:{إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا* وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا}

[الْإِسْرَاءِ: 107، 108]

وَ قَالَ:{وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} [الْمَائِدَةِ: 82، 83] .

(وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ)

استمعوا له و أذعنوا

و (قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ)

لموافقته ما جاءت به الرسل،

و مطابقته لما ذكر في الكتب،

و اشتماله على الأخبار الصادقة، و الأوامر و النواهي الموافقة، لغاية الحكمة.

و هؤلاء الذين تفيد شهادتهم، و ينفع قولهم،

لأنهم لا يقولون ما يقولون إلا عن علم و بصيرة،

لأنهم أهل الصنف و أهل الكتب، و غيرهم لا يدل ردهم

و معارضتهم للحق على شبهة، فضلا عن الحجة،

لأنهم ما بين جاهل فيه أو متجاهل معاند للحق.

قال تعالى:(قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا) الآيات.

و قوله: (إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ)

فلذلك ثبتنا على ما مَنَّ اللّه به علينا من الإيمان،

فصدقنا بهذا القرآن، آمنا بالكتاب الأول و الكتاب الآخر،

و غيرنا ينقض تكذيبه بهذا الكتاب، إيمانه بالكتاب الأول.

***مِنْ قَبْلِ هَذَا الْقُرْآنِ كُنَّا مُسْلِمِينَ،أَيْ: -
مُوَحِّدِينَ مُخْلِصِينَ لِلَّهِ مُسْتَجِيبِينَ لَهُ.

(أُوْلَٰٓئِكَ)

الذين آمنوا بالكتابين

(يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ)

أجرا على الإيمان الأول، و أجرا على الإيمان الثاني،

(بِمَا صَبَرُواْ)

على الإيمان، و ثبتوا على العمل،

فلم تزعزعهم عن ذلك شبهة،

و لا ثناهم عن الإيمان رياسة و لا شهوة.

*** صحيح البخاري

97 - عن أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

" ثَلاَثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ:-

1-رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ

2-وَ العَبْدُ المَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَ حَقَّ مَوَالِيهِ،

3-وَ رَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا،

وَ عَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ "

ثُمَّ قَالَ عَامِرٌ: أَعْطَيْنَاكَهَا بِغَيْرِ شَيْءٍ،

قَدْ كَانَ يُرْكَبُ فِيمَا دُونَهَا إِلَى المَدِينَةِ( )

❍و من خصالهم الفاضلة التي من آثار إيمانهم الصحيح،

أنهم (وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ)

أي:دأبهم و طريقتهم الإحسان لكل أحد،

حتى للمسيء إليهم بالقول و الفعل،

يقابلونه بالقول الحميد و الفعل الجميل،

لعلمهم بفضيلة هذا الخلق العظيم،

(رجل من أهل الكتاب) التوراة أو الإنجيل ذكرا كان أم أنثى. (مواليه) جمع مولى وهو السيد المالك للعبد أو المعتق له. (أمة) مملوكة. (يطؤها) ممتكن من جماعها شرعا بملكه لها. (فأدبها) رباها ونشأها على التخلق بالأخلاق الحميدة. (أعطيناكها) أي هذه الفتوى والخطاب لرجل من أهل خراسان سأله عمن يعتق أمته ثم يتزوجها. فتح الباري]

و أنه لا يوفق له إلا ذو حظ عظيم.

(وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ)

***وَ مِنَ الَّذِي رَزَقَهُمْ مِنَ الْحَلَالِ
يُنْفِقُونَ عَلَى خَلْق اللَّهِ فِي النَّفَقَاتِ الْوَاجِبَةِ لِأَهْلِهِمْ وَ أَقَارِبِهِمْ،
وَ الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ وَ الْمُسْتَحَبَّةِ مِنَ التَّطَوُّعَاتِ،
وَ صَدَقَاتِ النَّفْلِ و القربات.

(وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ)

من جاهل خاطبهم به،

(أَعْرَضُواْ عَنْهُ)

***لَا يُخَالِطُونَ أَهْلَهُ وَ لَا يُعَاشِرُونَهُمْ، بَلْ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الْفُرْقَانِ: 72] .

(وَقَالُواْ)

مقالة عباد الرحمن أولي الألباب:-

(لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ)

***إِذَا سَفه عَلَيْهِمْ سَفيه، وَ كَلَّمَهُمْ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِمُ الجوابُ عَنْهُ،
أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ لَمْ يُقَابِلُوهُ بِمِثْلِهِ مِنَ الْكَلَامِ الْقَبِيحِ،
وَ لَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ إِلَّا كَلَامٌ طَيِّبٌ.
وَ لِهَذَا قَالَ عَنْهُمْ: إِنَّهُمْ قَالُوا:

{لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ}

أَيْ: لَا نُرِيد طَرِيق الْجَاهِلِينَ وَ لَا نُحبّها.

أي: كُلٌّ سَيُجازَى بعمله الذي عمله وحده،

ليس عليه من وزر غيره شيء. و لزم من ذلك،

أنهم يتبرءون مما عليه الجاهلون، من اللغو و الباطل،

و الكلام الذي لا فائدة فيه.

(سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ)

أي لا تسمعون منا إلا الخير، و لا نخاطبكم بمقتضى جهلكم،

فإنكم و إن رضيتم لأنفسكم هذا المرتع اللئيم،

فإننا ننزه أنفسنا عنه، و نصونها عن الخوض فيه،

(لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ)

من كل وجه.

إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

يخبر تعالى أنك يا محمد – و غيرك من باب أولى– لا تقدر على هداية أحد،

و لو كان من أحب الناس إليك،

فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية للتوفيق، و خلق الإيمان في القلب،

و إنما ذلك بيد اللّه سبحانه تعالى، يهدي من يشاء،

و هو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه، ممن لا يصلح لها فيبقيه على ضلاله.

○و أما إثبات الهداية للرسول في قوله تعالى:

(وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

فتلك هداية البيان و الإرشاد،

فالرسول يبين الصراط المستقيم، و يرغب فيه،

و يبذل جهده في سلوك الخلق له،

و أما كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، و يوفقهم بالفعل، فحاشا و كلا.

و لهذا، لو كان قادرا عليها، لهدى من وصل إليه إحسانه،

و نصره ومنعه من قومه، عمه أبا طالب،

و لكنه أوصل إليه من الإحسان بالدعوة للدين و النصح التام،

ما هو أعظم مما فعله معه عمه، و لكن الهداية بيد اللّه تعالى.

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

صحيح البخاري

1360 - عن سَعِيِ بْنُ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ:

أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِﷺ

فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ،

وَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ،

قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺلِأَبِي طَالِبٍ:

"يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ"

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ:

يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّة عَبْدِ المُطَّلِبِ؟
فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْه،
وَ يَعُودَان بِتِلْكَ المَقَالَة حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ:
هُوَ عَلَى مِلَّة عَبْدِ المُطَّلِب، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ:
لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:
«أَمَا وَ اللَّه لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ} [التوبة113] الآيَةَ()

وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾

وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

(وَقَالُوٓاْ)

(أشهد لك بها) أحاجج لك بها وأدافع عنك. (أترغب عن ملة) أتعرض عن طريقة.
(أنه عنك) أنه عن الاستغفار لك. (الآية) التوبة 113. و هي بتمامها
{ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم}.
أي ثبت لهم أنهم من أهل النار بموتهم على الكفر والشرك]

يخبر تعالى أن المكذبين من قريش و أهل مكة، يقولون للرسول ﷺ: –

(إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ)

بالقتل و الأسر و نهب الأموال،

فإن الناس قد عادوك و خالفوك،

فلو تابعناك لتعرضنا لمعاداة الناس كلهم، و لم يكن لنا بهم طاقة.

و هذا الكلام منهم، يدل على سوء الظن باللّه تعالى،

و أنه لا ينصر دينه، و لا يعلي كلمته،

بل يمكن الناس من أهل دينه، فيسومونهم سوء العذاب،

و ظنوا أن الباطل سيعلو على الحق.

قال اللّه مبينا لهم حالة هم بها دون الناس و أن اللّه اختصهم بها، فقال:

(أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا)

أي: أولم نجعلهم متمكنين ممكنين في حرم يكثره المنتابون

و يقصده الزائرون،

قد احترمه البعيد و القريب،

فلا يهاج أهله، و لا ينتقصون بقليل و لا كثير .

و الحال أن كل ما حولهم من الأماكن،

قد حف بها الخوف من كل جانب، و أهلها غير آمنين و لا مطمئنين،

فَلْيَحْمَدُوا ربهم على هذا الأمن التام، الذي ليس فيه غيرهم،

(يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا)

***الميسر:يُجلب إليه**

و على الرزق الكثير، الذي يجيء إليهم من كل مكان، من الثمرات و الأطعمة

و البضائع، ما به يرتزقون و يتوسعون.

و لْيَتَّبِعُوا هذا الرسول الكريم، ليتم لهم الأمن و الرغد.

(وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ)

و إياهم و تكذيبه، و البطر بنعمة الله،

فيبدلوا من بعد أمنهم خوفا،

و بعد عزهم ذلا و بعد غناهم فقرا،

و لهذا توعدهم بما فعل بالأمم قبلهم، فقال:

(وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ)

أي: فخرت بها، و ألهتها،

و اشتغلت بها عن الإيمان بالرسل،

فأهلكهم اللّه، و أزال عنهم النعمة، و أحل بهم النقمة

(فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ)

لتوالي الهلاك و التلف عليهم، و إيحاشها من بعدهم.

(وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ)

للعباد، نميتهم، ثم يرجع إلينا جميع ما متعناهم به من النعم،

ثم نعيدهم إلينا، فنجازيهم بأعمالهم.

و من حكمته و رحمته:-

أن لا يعذب الأمم بمجرد كفرهم قبل إقامة الحجة عليهم، بإرسال الرسل إليهم،

و لهذا قال: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ)

أي: بكفرهم و ظلمهم

(حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا)

أي: في القرية و المدينة التي إليها يرجعون، و نحوها يترددون،

و كل ما حولها ينتجعها، و لا تخفى عليه أخبارها.

(رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ)

الدالة على صحة ما جاء به، و صدق ما دعاهم إليه،

فيبلغ قوله قاصيهم و دانيهم،

بخلاف بعث الرسل في القرى البعيدة،

و الأطراف النائية:-

فإن ذلك مظنة الخفاء و الجفاء،

و المدن الأمهات:-

مظنة الظهور و الانتشار،

و في الغالب أنهم أقل جفاء من غيرهم.

***فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ، وَ هُوَ مُحَمَّدٌﷺالْمَبْعُوثَ مِنْ أُمِّ الْقُرَى، رَسُولٌ إِلَى جَمِيعِ الْقُرَى، مِنْ عَرَبٍ وَ أَعْجَامٍ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} [الشُّورَى: 7]

وَ قَالَ تَعَالَى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الْأَعْرَافِ: 158]

وَ قَالَ: {لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} [الْأَنْعَامِ: 19]

وَ قَالَ: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ} [هُودٍ: 17]

وَ تَمَامُ الدَّلِيلِ قَوْلُهُ{وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا} [الْإِسْرَاءِ: 58] .

فَأَخْبَرَ أَنَّهُ سَيُهْلِكُ كُلَّ قَرْيَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

وَ قَدْ قَالَ: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا} [الْإِسْرَاءِ: 15] .

فَجَعَلَ تَعَالَى بِعْثَةَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ شَامِلَةً لِجَمِيعِ الْقُرَى؛
لِأَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَى أُمِّهَا وَ أَصْلِهَا الَّتِي تَرْجِعُ إِلَيْهَا.

وَ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ:
"بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ".

وَ لِهَذَا خَتَمَ بِهِ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ وَ لَا رَسُولَ،
بَلْ شَرْعُهُ بَاقٍ بَقَاءَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَ قِيلَ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: {حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا}
أَيْ: أَصْلِهَا وَ عَظِيمَتِهَا، كَأُمَّهَاتِ الرَّسَاتِيقِ وَ الْأَقَالِيمِ

(وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ)

بالكفر و المعاصي، مستحقون للعقوبة.

و الحاصل: أن اللّه لا يعذب أحدا إلا بظلمه، و إقامة الحجة عليه.

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا
تَعۡقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ
كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ
فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ
فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا
يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ
ٱلۡمُفۡلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ
سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا
يُعۡلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ
وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا
تَعۡقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٦١﴾

(وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا)

هذا حض من الله لعباده على الزهد في الدنيا و عدم الاغترار بها،

و على الرغبة في الأخرى، و جعلها مقصود العبد و مطلوبه،

و يخبرهم أن جميع ما أوتيه الخلق، من الذهب، و الفضة، و الحيوانات

و الأمتعة، و النساء، و البنين، و المآكل، و المشارب، و اللذات

كلها متاع الحياة الدنيا

(وَزِينَتُهَاۚ)

أي :يتمتع به وقتا قصيرا،

متاعا قاصرا،

محشوا بالمنغصات،

ممزوجا بالغصص .

و يزين به زمانا يسيرا، للفخر و الرياء،

ثم يزول ذلك سريعا، و ينقضي جميعا،

و لم يستفد صاحبه منه إلا الحسرة و الندم، و الخيبة و الحرمان .

(وَمَا عِندَ ٱللَّهِ)

من النعيم المقيم، و العيش السليم

(خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰۚ)

أي: أفضل في وصفه و كميته، و هو دائم أبدا، و مستمر سرمدا .

(أَفَلَا تَعْقِلُونَ)

أي: أفلا يكون لكم عقول، بها تزنون أي الأمور أولى بالإيثار،

و أي الدارين أحق للعمل لها فدل ذلك أنه بحسب عقل العبد

يؤثر الأخرى على الدنيا، و أنه ما آثر أحد الدنيا إلا لنقص في عقله،

***كَمَا قَالَ:{مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ} [النَّحْلِ: 96]

وَ قَالَ: {وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ} [آلِ عِمْرَانَ: 198]

وَ قَالَ: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا مَتَاعٌ} [الرَّعْدِ: 26] ،

وَ قَالَ: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [الْأَعْلَى: 16، 17]

***صحيح مسلم

(2858) عن قَيْس قَالَ: سَمِعْتُ مُسْتَوْرِدًا، أَخَا بَنِي فِهْرٍ،

يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«وَ اللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ - وَ أَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟» ( )

❍و لهذا نبه العقول على الموازنة بين عاقبة مؤثر الدنيا و مؤثر الآخرة،

(اليم) اليم هو البحر (بم يرجع) ضبطوا يرجع بالتاء وبالياء والأول أشهر ومن رواه بالياء أعاد الضمير إلى أحدكم وبالتاء أعاده على الإصبع وهو الأظهر ومعناه لا يعلق بها كثير شيء من الماء ومعنى الحديث ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها ودوام الآخرة ودوام لذتها ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر]

فقال:-

(أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ)

أي: هل يستوي مؤمن ساع للآخرة سعيها،

قد عمل على وعد ربه له، بالثواب الحسن، الذي هو الجنة،

و ما فيها من النعيم العظيم، فهو لاقيه من غير شك و لا ارتياب،

لأنه وعد من كريم صادق الوعد، لا يخلف الميعاد،

لعبد قام بمرضاته و جانب سخطه،

(كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا)

فهو يأخذ فيها و يعطي، و يأكل و يشرب،

و يتمتع كما تتمتع البهائم، قد اشتغل بدنياه عن آخرته

و لم يرفع بهدى الله رأسا، و لم ينقد للمرسلين،

فهو لا يزال كذلك، لا يتزود من دنياه إلا الخسار و الهلاك .

(ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ)

لحساب، و قد علم أنه لم يقدم خيرا لنفسه،

و إنما قدم جميع ما يضره،

و انتقل إلى دار الجزاء بالأعمال،

فما ظنكم إلى ما يصير إليه؟

و ما تحسبون ما يصنع به؟

فليختر العاقل لنفسه، ما هو أولى بالاختيار، و أحق الأمرين بالإيثار .

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾

هذا إخبار من اللّه تعالى، عما يسأل عنه الخلائق يوم القيامة،

و أنه يسألهم عن أصول الأشياء، و عن عبادة اللّه و إجابة رسله، فقال:–

(وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ)

أي: ينادي من أشركوا به شركاء يعبدونهم، و يرجون نفعهم،

و دفع الضرر عنهم، فيناديهم، ليبين لهم عجزها و ضلالهم

(فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ)

و ليس للّه شريك، و لكن ذلك بحسب زعمهم و افترائهم،

و لهذا قال :(ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ)

فأين هم، بذواتهم، و أين نفعهم و أين دفعهم؟

و من المعلوم أنه يتبين لهم في تلك الحال، أن الذي عبدوه، و رجوه باطل، مضمحل في ذاته، و ما رجوا منه،

فيقرون على أنفسهم بالضلالة و الغواية .

و لهذا(قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ)

الرؤساء و القادة، في الكفر و الشر، مقرين بغوايتهم و إغوائهم

***مِنَ الشَّيَاطِينِ و المَرَدَة

(رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ)

التابعون

(ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ)

أي: كلنا قد اشترك في الغواية، و حق عليه كلمة العذاب .

(تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ)

من عبادتهم، أي: نحن برآء منهم و من عملهم

(مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ)

و إنما كانوا يعبدون الشياطين .

(وَقِيلَ)

لهم

(ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ)

على ما أَمَّلْتُم فيهم من النفع

فأمروا بدعائهم في ذلك الوقت الحرج،الذي يضطر فيه العابد إلى من عبده .

(فَدَعَوْهُمْ)

لينفعوهم، أو يدفعوا عنهم من عذاب اللّه من شيء

(فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ)

فعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين مستحقين للعقوبة

(وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۚ)

الذي سيحل بهم عيانا، بأبصارهم بعد ما كانوا مكذبين به، منكرين له .

(لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ)

أي: لما حصل عليهم ما حصل، و لهدوا إلى صراط الجنة،

كما اهتدوا في الدنيا، و لكن لم يهتدوا، فلم يهتدوا .

(وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ)

هل صدقتموهم، و اتبعتموهم أم كذبتموهم و خالفتموهم؟

(فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ)

*الميسر:فخفيت عليهم الحجج،

فلم يَدْروا ما يحتجون به،

فهم لا يسأل بعضهم بعضاً عما يحتجون به سؤال انتفاع.

❍أي: لم يحيروا عن هذا السؤال جوابا، و لم يهتدوا إلى الصواب .

و من المعلوم أنه لا ينجي في هذا الموضع إلا التصريح بالجواب الصحيح،

المطابق لأحوالهم، من أننا أجبناهم بالإيمان و الانقياد،

و لكن لما علموا تكذيبهم لهم و عنادهم لأمرهم، لم ينطقوا بشيء،

و لا يمكن أن يتساءلوا و يتراجعوا بينهم في ماذا يجيبون به، و لو كان كذبا .

فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾

(فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا)

لما ذكر تعالى سؤال الخلق عن معبودهم و عن رسلهم،

ذكر الطريق الذي ينجو به العبد من عقاب اللّه تعالى،

و أنه لا نجاة إلا لمن اتصف بالتوبة من الشرك و المعاصي،و آمن باللّه فعبده،

و آمن برسله فصدقهم، و عمل صالحا متبعا فيه للرسل،

(فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ)

من جمع هذه الخصال

***أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
وَ"عَسَى" مِنَ اللَّهِ مُوجِبَةٌ، فَإِنَّ هَذَا وَاقِعٌ بِفَضْلِ اللَّهِ و مَنّه لَا مَحَالَةَ.

(مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ)

الناجحين بالمطلوب، الناجين من المرهوب،

فلا سبيل إلى الفلاح بدون هذه الأمور .

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

(وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ)

***الميسر:أن يخلقه،**

(وَيَخْتَارُ ۗ)

و يصطفي لولايته مَن يشاء من خلقه،

(مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ)

***الميسر:وليس لأحد من الأمر و الاختيار شيء،**

و إنما ذلك لله وحده سبحانه، تعالى وتنزّه عن شركهم.

○هذه الآيات، فيها عموم خلقه لسائر المخلوقات،

و نفوذ مشيئته بجميع البريات،

و انفراده باختيار من يختاره و يختصه، من الأشخاص، و الأوامر و الأزمان و الأماكن،

و أن أحدا ليس له من الأمر و الاختيار شيء،

(سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ)

و أنه تعالى منزه عن كل ما يشركون به، من الشريك، و الظهير، و العوين، و الولد، و الصاحبة، و نحو ذلك، مما أشرك به المشركون،

(وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ)

و أنه العالم بما أكنته الصدور و ما أعلنوه،

(وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)

و أنه وحده المعبود المحمود في الدنيا و الآخرة، على ماله من صفات الجلال و الجمال،

(لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ)

و على ما أسداه إلى خلقه من الإحسان و الإفضال .

***فِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ هُوَ الْمَحْمُودُ عَلَيْهِ، لِعَدْلِهِ وَ حِكْمَتِهِ

(وَلَهُ ٱلْحُكْمُ)

و أنه هو الحاكم في الدارين، في الدنيا،

بالحكم القدري:-

الذي أثره جميع ما خلق و ذرأ

و الحكم الديني:-

الذي أثره جميع الشرائع، و الأوامر و النواهي .

و في الآخرة :-

يحكم بحكمه القدري و الجزائي،

***الَّذِي لَا مُعَقِّبَ لَهُ، لِقَهْرِهِ وَ غَلَبَتِهِ وَ حِكْمَتِهِ وَ رَحِمَتِهِ

و لهذا قال :(وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

فيجازي كلا منكم بعمله، من خير و شر.

قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ
يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ
ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ
فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ
وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ
ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا فَقُلۡنَا هَاتُواْ
بُرۡهَٰنَكُمۡ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ
كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ
بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾
وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ
وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾

قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ
يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ

ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾

(قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ)

هذا امتنان من اللّه على عباده، يدعوهم به إلى شكره،و القيام بعبوديته و حقه،

أنه جعل لهم من رحمته النهار ليبتغوا من فضل اللّه،

و ينتشروا لطلب أرزاقهم و معايشهم في ضيائه، و الليل ليهدأوا فيه

و يسكنوا، و تستريح أبدانهم و أنفسهم من تعب التصرف في النهار،

فهذا من فضله و رحمته بعباده.

فهل أحد يقدر على شيء من ذلك؟

فلو جعل(عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ)

***الميسر:- إن جعل الله عليكم الليل دائماً إلى يوم القيامة**

(مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ)

مواعظ اللّه و آياته سماع فهم و قبول و انقياد

(قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ)

مواقع العبر، و مواضع الآيات،

فتستنير بصائركم، و تسلكوا الطريق المستقيم.

و قال في الليل (أَفَلا تَسْمَعُونَ)

و في النهار (أَفَلا تُبْصِرُونَ)

لأن سلطان السمع أبلغ في الليل من سلطان البصر، و عكسه النهار.

و في هذه الآيات:-

تنبيه إلى أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم اللّه عليه،

و يستبصر فيها،

و يقيسها بحال عدمها،

فإنه إذا وازن بين حالة وجودها، و بين حالة عدمها، تنبه عقله لموضع المنة،

بخلاف من:-

جرى مع العوائد، و رأى أن هذا أمر لم يزل مستمرا، و لا يزال.

و عمي قلبه عن الثناء على اللّه، بنعمه

و رؤية افتقاره إليها في كل وقت،

فإن هذا لا يحدث له فكرة شكر و لا ذكر.

(وَمِن رَّحْمَتِهِۦ)

***بكم

(جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ)

(لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ)

(وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ)

***فِي النَّهَارِ بِالْأَسْفَارِ وَ التَّرْحَالِ، وَ الْحَرَكَاتِ وَ الْأَشْغَالِ،
وَ هَذَا مِنْ بَابِ اللَّفِّ وَ النَّشْرِ.

(وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ)

***تَشْكُرُونَ اللَّهَ بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ فِي اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ،
وَ مَنْ فَاتَهُ شَيْءٌ بِاللَّيْلِ اسْتَدْرَكَهُ بِالنَّهَارِ، أَوْ بِالنَّهَارِ اسْتَدْرَكَهُ بِاللَّيْلِ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا}
[الْفُرْقَانِ: 62]

***وَ هَذَا أَيْضًا نِدَاءٌ ثَانٍ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَ التَّوْبِيخِ لِمَنْ عَبَدَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، يُنَادِيهِمُ الرب -تبارك و تعالى -على رؤوس الْأَشْهَادِ فَيَقُولُ:-

وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٧٤﴾

وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ

فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٧٥﴾

أي: و يوم ينادي اللّه المشركين به، العادلين به غيره،

الذين يزعمون أن له شركاء، يستحقون أن يعبدوا، و ينفعون و يضرون،

(وَيَوۡمَ)

فإذا كان يوم القيامة،

أراد اللّه أن يظهر جراءتهم و كذبهم في زعمهم و تكذيبهم لأنفسهم

فـــــ(يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ)

أي: بزعمهم، لا بنفس الأمر، كما قال:

(وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ)

(وَنَزَعۡنَا)

فإذا حضروا و إياهم، نزع

(مِن كُلِّ أُمَّةٍ)

من الأمم المكذبة

(شَهِيدًا)

يشهد على ما جرى في الدنيا، من شركهم و اعتقادهم،

و هؤلاء بمنزلة المنتخبين.

أي: انتخبنا من رؤساء المكذبين من يتصدى للخصومة عنهم،

و المجادلة عن إخوانهم، و من هم وإياهم على طريق واحد،

فإذا برزوا للمحاكمة

(فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ)

حجتكم و دليلكم على صحة شرككم،

هل أمرناكم بذلك؟

هل أمرتكم رسلي؟

هل وجدتم ذلك في شيء من كتبي؟

هل فيهم أحد يستحق شيئا من الإلهية؟

هل ينفعونكم، أو يدفعون عنكم من عذاب اللّه أو يغنون عنكم؟

فليفعلوا إذا إن كان فيهم أهلية و ليروكم إن كان لهم قدرة

(فَعَلِمُوٓاْ)

حينئذ بطلان قولهم و فساده،

و (أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ)

تعالى، قد توجهت عليهم الخصومة،

و انقطعت حجتهم، و أفلجت حجة اللّه

***لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، أَيْ: فَلَمْ يَنْطِقُوا وَ لَمْ يُحِيرُوا جَوَابًا،

(وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ)

من الكذب و الإفك، و اضمحل و تلاشى وعدم،

و علموا أن اللّه قد عدل فيهم،

حيث لم يضع العقوبة إلا بمن استحقها و استأهلها.

۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ (**76 – 82**) إلى آخر القصة .

يخبر تعالى عن حالة قارون و ما فعل و فُعِلَ به و نُصِحَ و وُعِظَ،

فقال:(إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ)

أي: من بني إسرائيل، الذين فُضِّلوا على العالمين،

و فاقوهم في زمانهم،

و امتن اللّه عليهم بما امتن به،

فكانت حالهم مناسبة للاستقامة،

و لكن قارون هذا، بغى على قومه و طغى، بما أوتيه من الأموال العظيمة المطغية

*****قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّهُ كَانَ ابْنَ عَمِّهِ، وَ اللَّهُ أَعْلَمُ.**

(وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ)

أي: كنوز الأموال شيئا كثيرا،

(مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ)

و العصبة :–

من العشرة إلى التسعة إلى السبعة، و نحو ذلك.

أي: حتى أن مفاتح خزائن أمواله لتثقل الجماعة القوية عن حملها، هذه المفاتيح، فما ظنك بالخزائن؟

(إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ)

ناصحين له محذرين له عن الطغيان:

(لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ)

أي: لا تفرح بهذه الدنيا العظيمة، و تفتخر بها، و تلهيك عن الآخرة، فإن اللّه لا يحب الفرحين بها، المنكبين على محبتها.

***وَ قَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي الْأَشِرِينَ الْبَطِرِينَ، الَّذِينَ لَا يَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى مَا أَعْطَاهُمْ.

(وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ)

أي: قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ بها ما عند اللّه، و تصدق و لا تقتصر على مجرد نيل الشهوات و تحصيل اللذات،

(وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ)

أي: لا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك و تبقى ضائعا، بل أنفق لآخرتك،

و استمتع بدنياك استمتاعا لا يثلم دينك، و لا يضر بآخرتك
***اسْتَعْمِلْ مَا وَهَبَكَ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ الْجَزِيلِ وَ النِّعْمَةِ الطَّائِلَةِ،
فِي طَاعَةِ رَبِّكَ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ،
الَّتِي يَحْصُلُ لَكَ بِهَا الثَّوَابُ فِي الدار الآخرة
***مِمَّا أَبَاحَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْمَآكِلِ وَ الْمَشَارِبِ وَ الْمَلَابِسِ وَ الْمَسَاكِنِ
وَ الْمَنَاكِحِ، فَإِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حقًّا،
و لنفسك عليك حقًّا،
وَ لِزَوْرِكِ عَلَيْكَ حَقًّا، فَآتِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.
و لأهلك عليك

(وَأَحۡسِن)

إلى عباد اللّه

(كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ)

بهذه الأموال،
*** أَحْسِنْ إِلَى خَلْقِهِ كَمَا أَحْسَنَ هُوَ إِلَيْكَ

(وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ)

بالتكبر و العمل بمعاصي اللّه و الاشتغال بالنعم عن المنعم،
***لَا تكنْ هِمَّتُكَ بِمَا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تُفْسِدَ بِهِ الْأَرْضَ وَ تُسِيءَ إِلَى خَلْقِ اللَّهِ

(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ)

بل يعاقبهم على ذلك، أشد العقوبة.

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾

مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ

فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٤﴾

فـــــ(قَالَ)

قارون – رادا لنصيحتهم، كافرا بنعمة ربه– :

(إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ)

أي: إنما أدركت هذه الأموال بكسبي و معرفتي بوجوه المكاسب، و حذقي،

أو على علم من اللّه بحالي، يعلم أني أهل لذلك،

فَلِمَ تنصحوني على ما أعطاني اللّه تعالى؟

*** أَنَا لَا أَفْتَقِرُ إِلَى مَا تَقُولُونَ،
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَعْطَانِي هَذَا الْمَالَ لِعِلْمِه بِأَنِّي أَسْتَحِقُّهُ،
وَ لِمَحَبَّتِهِ لِي فَتَقْدِيرُهُ: إِنَّمَا أُعْطِيتُهُ لِعِلْمِ اللَّهِ فِيَّ أَنِّي أَهْلٌ لَهُ،
وَ هَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{فَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ

إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ}[الزُّمَرِ: 49]
أَيْ: عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ بِي،
وَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي}
[فُصِّلَتْ: 50] أَيْ: هَذَا أَسْتَحِقُّهُ.

❍قال تعالى مبينا أن عطاءه، ليس دليلا على حسن حالة المعطي:

(أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ)

فما المانع من إهلاك قارون، مع مُضِيِّ عادتنا و سنتنا بإهلاك من هو مثله

و أعظم، إذ فعل ما يوجب الهلاك؟.

(وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ)

***الميسر:و لا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون؛**

لعلم الله تعالى بها،
إنما يُسْألون سؤال توبيخ و تقرير،
و يعاقبهم الله على ما علمه منهم.
***لكثرة ذنوبهم
❍بل يعاقبهم اللّه، و يعذبهم على ما يعلمه منهم،

فهم، و إن أثبتوا لأنفسهم حالة حسنة، و شهدوا لها بالنجاة،

فليس قولهم مقبولا و ليس ذلك دافعا عنهم من العذاب شيئا،

لأن ذنوبهم غير خفية، فإنكارهم لا محل له،

فلم يزل قارون مستمرا على عناده و بغيه، و عدم قبول نصيحة قومه،

فرحا بطرا قد أعجبته نفسه، و غره ما أوتيه من الأموال.
***وَ هَكَذَا يَقُولُ مَنْ قَلَّ عِلْمُهُ إِذَا رَأَى مَنْ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَقُولُ: - لَوْلَا أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ لَمَا أُعْطِيَ

(فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ)

أي: بحالة أرفع ما يكون من أحوال دنياه،

قد كان له من الأموال ما كان،

و قد استعد و تجمل بأعظم ما يمكنه،

و تلك الزينة في العادة من مثله تكون هائلة،

جمعت زينة الدنيا و زهرتها و بهجتها و غضارتها و فخرها،

فرمقته في تلك الحالة العيون،

و ملأت بِزَّتُهُ القلوب،

و اختلبت زينته النفوس،

فانقسم فيه الناظرون قسمين، كل تكلم بحسب ما عنده من الهمة و الرغبة.

فـــــ(ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا)

أي: الذين تعلقت إرادتهم فيها،

و صارت منتهى رغبتهم، ليس لهم إرادة في سواها

(لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ)

***الميسر:لولا أن الله منّ علينا فلم يعاقبنا على ما قلنا لَخسف بنا كما فعل بقارون،**

(يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ)

من الدنيا و متاعها و زهرتها

(إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ)

و صدقوا إنه لذو حظ عظيم، لو كان الأمر منتهيا إلى رغباتهم،

و أنه ليس وراء الدنيا، دار أخرى،

فإنه قد أعطي منها ما به غاية التنعم بنعيم الدنيا،

و اقتدر بذلك على جميع مطالبه،

فصار هذا الحظ العظيم، بحسب همتهم،

و إن همة جعلت هذا غاية مرادها و منتهى مطلبها،

لَمِنْ أدنى الهمم و أسفلها و أدناها،

و ليس لها أدنى صعود إلى المرادات العالية و المطالب الغالية.

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ)

الذين عرفوا حقائق الأشياء،

و نظروا إلى باطن الدنيا، حين نظر أولئك إلى ظاهرها:

(وَيۡلَكُمۡ)

متوجعين مما تمنوا لأنفسهم، راثين لحالهم، منكرين لمقالهم

(ثَوَابُ ٱللَّهِ)

العاجل، مـــــــن:-

لذة العبادة و محبته،

و الإنابة إليه،

و الإقبال عليه.

و الآجل مـــــــن:-

الجنة و ما فيها، مما تشتهيه الأنفس و تلذ الأعين

(خَيۡرٌ)

من هذا الذي تمنيتم و رغبتم فيه، فهذه حقيقة الأمر،

(لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا)

***أَيْ: جَزَاءُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا تَرَوْنَ.

كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: -

صحيح البخاري

3244 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ:-

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ :-

«أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ،

وَ لاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَ لاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ :-

(فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ)» ( )

و لكن ما كل من يعلم ذلك يؤثر الأعلى على الأدنى،

(وَلَا يُلَقَّىٰهَآ)

فما يُلَقَّى ذلك و يوفق له

(إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ)

الذين حبسوا أنفسهم :-

1-على طاعة اللّه،

2-و عن معصيته،

3-و على أقداره المؤلمة،

4-و صبروا على جواذب الدنيا و شهواتها، أن تشغلهم عن ربهم،

و أن تحول بينهم و بين ما خلقوا له،

(قرة أعين) قرة العين هدووؤها و هو كناية عن السرور. السجدة 17]

فهؤلاء الذين يؤثرون ثواب اللّه على الدنيا الفانية.

فلما انتهت بقارون حالة البغي و الفخر،

و ازَّيَّنَت الدنيا عنده، و كثر بها إعجابه، بغته العذاب

(فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ)

جزاء من جنس عمله،

فكما رفع نفسه على عباد اللّه،أنزله اللّه أسفل سافلين،

هو و ما اغتر به، من داره و أثاثه، و متاعه.

***كما جاء في:

صحيح البخاري

5790 - عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ أَبَاهُ، حَدَّثَهُ:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:

«بَيْنَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ، إِذْ خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَّلُ فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»

(فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ)

أي: جماعة، و عصبة، و خدم، و جنود

(يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ)

أي: جاءه العذاب، فما نصر و لا انتصر.

(وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ)

أي: الذين يريدون الحياة الدنيا، الذين قالوا:

(يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ)

(يَقُولُونَ)

متوجعين و معتبرين، و خائفين من وقوعِ العذاب بهم:

(وَيْكَأَنَّ)

*** الأدب المفرد مخرجا

275 عَنْ مُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ،

وَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي الْمَالَ مَنْ أَحَبَّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ،

وَ لَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ،( )

(ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ)

أي: يضيق الرزق على من يشاء،

فعلمنا حينئذ أن بسطه لقارون، ليس دليلا على خير فيه،

و أننا غالطون في قولنا:

(إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ و لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا)

فلم يعاقبنا على ما قلنا،

فـــــ(لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا)

فضله و منته

[قال الشيخ الألباني]:- صحيح موقوف في حكم المرفوع

(لَخَسَفَ بِنَاۖ)

فصار هلاك قارون عقوبة له، و عبرة و موعظة لغيره،

حتى إن الذين غبطوه، سمعت كيف ندموا، و تغير فكرهم الأول.

(وَيۡكَأَنَّهُۥ)

***وَقَدِ اخْتَلَفَ النُّحَاةُ فِي معنى قوله تعالى ها هنا:

***أَلَمْ تَرَ أَنَّ

*** فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهَا: "وَيْلَكَ اعْلَمْ أَنَّ"،

وَ لَكِنْ خُفّفت فَقِيلَ: "وَيْكَ"،

(لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ)

أي: لا في الدنيا و لا في الآخرة.

لما ذكر تعالى، قارون وما أوتيه من الدنيا، و ما صار إليه عاقبة أمره،

و أن أهل العلم قالوا:-

(ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا)

رغب تعالى في الدار الآخرة، و أخبر بالسبب الموصل إليها

فقال: (تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ)

التي أخبر اللّه بها في كتبه و أخبرت بها رسله، التي قد جمعت كل نعيم،

و اندفع عنها كل مكدر و منغص

(نَجۡعَلُهَا)

دارا و قرارا

(لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلۡأَرۡضِ)

*** تَعَظُّمًا وَ تَجَبُّرًا

أي: ليس لهم إرادة،

فكيف العمل للعلو في الأرض على عباد اللّه،

و التكبر عليهم و على الحق

(وَلَا فَسَادًاۚ)

و هذا شامل لجميع المعاصي،

فإذا كانوا لا إرادة لهم في العلو في الأرض و الإفساد،

لزم من ذلك، أن تكون إرادتهم مصروفة إلى اللّه،

و قصدهم الدار الآخرة،

و حالهم التواضع لعباد اللّه،

و الانقياد للحق و العمل الصالح.

و هؤلاء هم المتقون الذين لهم العاقبة،

*** صحيح مسلم

(2865) عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، قَالَ:-

قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا......قال:

«وَ إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ،

وَ لَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»

***وَ أَمَّا إِذَا أَحَبَّ ذَلِكَ لِمُجَرَّدِ التَّجَمُّلِ فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ،

*** صحيح مسلم

(91) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:

«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»

قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَ نَعْلُهُ حَسَنَةً،

قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَ غَمْطُ النَّاسِ»( )

و لهذا قال: (وَٱلْعَٰقِبَةُ)

أي حالة الفلاح و النجاح، التي تستقر و تستمر

(لِلْمُتَّقِينَ)

لمن اتقى اللّه تعالى، و غيرهم –

و إن حصل لهم بعض الظهور و الراحة–

فإنه لا يطول وقته، و يزول عن قريب.

و علم من هذا الحصر في الآية الكريمة،

أن الذين يريدون العلو في الأرض، أو الفساد،

ليس لهم في الدار الآخرة، نصيب، و لا لهم منها نصيب

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

(بطر الحق) هو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا

(غمط الناس) معناه احتقارهم يقال في الفعل منه غمطه يغمطه وغمطه يغمطه]

يخبر تعالى عن مضاعفة فضله، و تمام عدله فقال:

(مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ)

شرط فيها أن يأتي بها العامل، لأنه قد يعملها،

و لكن يقترن بها ما لا تقبل منه أو يبطلها،

فهذا لم يجئ بالحسنة،

و الحسنة:-

اسم جنس يشمل جميع ما أمر اللّه به و رسوله،

من الأقوال و الأعمال الظاهرة و الباطنة،

المتعلقة بحق الله تعالى و حق عباده،

(فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا)

أي: أعظم و أجل،

و في الآية الأخرى(فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا)

هذا التضعيف للحسنة، لا بد منه،

و قد يقترن بذلك من الأسباب ما تزيد به المضاعفة

كما قال تعالى:

(وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)

بحسب حال العامل و عمله، و نفعه و محله و مكانه

(وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ)

و هي كل ما نهى الشارع عنه، نَهْيَ تحريم.

(فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ)

كقوله تعالى:

(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ)

***كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:

{وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}

[النَّمْلِ: 90]

وَ هَذَا مَقَامُ الْفَصْلِ وَ الْعَدْلِ.

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ قُل رَّبِّىٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ

وَمَنۡ هُوَ فِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا

رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ

بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا

تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ

لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سورة العنكبوت

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾

وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾

أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾

مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾

وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ قُل رَّبِّىٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ

وَمَنۡ هُوَ فِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا

رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ٨٦ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٨٧ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٨

يقول تعالى (إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ)

أي: أنزله، و فرض فيه الأحكام،

و بين فيه الحلال و الحرام،

و أمرك بتبليغه للعالمين،

و الدعوة لأحكام جميع المكلفين،

لا يليق بحكمته أن تكون الحياة هي الحياة الدنيا فقط،

من غير أن يثاب العباد و يعاقبوا،

(لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ)

***إِلَى الْمَوْتِ.

***إِلَى الْجَنَّةِ.

*** إِلَى مَكَّةَ.

*** إِلَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ

❍بل لا بد أن يردك إلى معاد،

يجازى فيه المحسنون بإحسانهم، و المسيئون بمعصيتهم.

و قد بينت لهم الهدى، و أوضحت لهم المنهج،

فإن تبعوك:-

فذلك حظهم و سعادتهم،

و إن أبوا إلا :-

عصيانك و القدح بما جئت به من الهدى،

و تفضيل ما معهم من الباطل على الحق،

فلم يبق للمجادلة محل،

و لم يبق إلا المجازاة على الأعمال من العالم بالغيب و الشهادة،

و المحق و المبطل.

و لهذا قال: (قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ)

و قد علم أن رسوله هو المهتدي الهادي،

و أن أعداءه هم الضالون المضلون.

(وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ)

أي: لم تكن متحريا لنزول هذا الكتاب عليك،

و لا مستعدا له، و لا متصديا.

(إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ)

بك و بالعباد، فأرسلك بهذا الكتاب، الذي رحم به العالمين،

و علمهم ما لم يكونوا يعلمون، و زكاهم و علمهم الكتاب و الحكمة،

و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين،

فإذا علمت أنه أنزل إليك رحمة منه،

علمت أن جميع ما أمر به و نهى عنه،

فإنه رحمة و فضل من اللّه، فلا يكن في صدرك حرج من شيء منه،

و تظن أن مخالفه أصلح و أنفع.

(فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ)

أي: معينا لهم على ما هو من شعب كفرهم،

و من جملة مظاهرتهم، أن يقال في شيء منه،

إنه خلاف الحكمة و المصلحة و المنفعة.

(وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ)

***لَا تَتَأَثَّرْ لِمُخَالَفَتِهِمْ لَكَ وَ صَدِّهِمُ النَّاسَ عَنْ طَرِيقِكَ

لَا تَلْوِي عَلَى ذَلِكَ وَ لَا تُبَالِهِ؛

فَإِنَّ اللَّهَ مُعْلِ كَلِمَتَكَ، و مؤيدٌ دِينَكَ،

وَ مُظْهِرٌ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ؛

(بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ)

بل أبلغها و أنفذها، و لا تبال بمكرهم و لا يخدعنك عنها،و لا تتبع أهواءهم.

(وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ)

أي اجعل الدعوة إلى ربك منتهى قصدك و غاية عملك،

فكل ما خالف ذلك فارفضه، مــــــن:-

1-ريــــــاء،

2-أو سمعة

3-أو موافقة أغراض أهل الباطل،

فإن ذلك داع إلى الكون معهم، و مساعدتهم على أمرهم،

و لهذا قال: (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ)

لا في شركهم، و لا في فروعه و شعبه، التي هي جميع المعاصي.

(وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ)

بل أخلص للّه عبادتك،

فإنه (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ)

فلا أحد يستحق أن يؤله و يحب و يعبد، إلا اللّه الكامل الباقي الذي

(كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ)

و إذا كان كل شيء هالكا مضمحلا سواه

فعبادة الهالك الباطل باطلة ببطلان غايتها، و فساد نهايتها.

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ*وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ}
[الرَّحْمَنِ: 26، 27]
فعبر بالوجه عن الذات،
و هكذا قوله ها هنا:{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ}
أَيْ: إِلَّا إِيَّاهُ.

(لَهُ ٱلْحُكْمُ)

في الدنيا و الآخرة
*** الْمُلْكُ وَ التَّصَرُّفُ، وَ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ،

(وَإِلَيْهِ)

لا إلى غيره

(تُرْجَعُونَ)
***يَوْمَ مَعَادِكُمْ، فَيَجْزِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، إِنْ كَانَ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَ إِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.
❍فإذا كان ما سوى اللّه باطلا هالكا،
و اللّه هو الباقي، الذي لا إله إلا هو،
و له الحكم في الدنيا و الآخرة،
و إليه مرجع الخلائق كلهم، ليجازيهم بأعمالهم،
تعيَّن على من له عقل، أن يعبد اللّه وحده لا شريك له،
و يعمل لما يقربه و يدنيه،
و يحذر من سخطه و عقابه،

و أن يقدم على ربه غير تائب، و لا مقلع عن خطئه و ذنوبه.

تم تفسير سورة القصص – و للّه الحمد و الثناء و المجد دائما أبدا–

تفسير سورة العنكبوت -و هي مكية -بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾

وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾

أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾

(الٓمٓ)

(أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ)

***الميسر:أظَنّ الناس إذ قالوا: آمنا، أن الله يتركهم بلا ابتلاء و لا اختبار؟**

○يخبر تعالى عن تمام حكمته :–

و أن حكمته لا تقتضي أن كل من قال « إنه مؤمن »

و ادعى لنفسه الإيمان، أن يبقوا في حالة:–

يسلمون فيها من الفتن و المحن،

و لا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم و فروعه،

فإنهم لو كان الأمر كذلك:–

لم يتميز الصادق من الكاذب،

و المحق من المبطل،

❍و لكن سنته و عادته في الأولين و في هذه الأمة أن:-

يبتليهم بالسراء و الضراء،

و العسر و اليسر،

و المنشط و المكره،

و الغنى و الفقر،

و إدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان،

و مجاهدة الأعداء بالقول و العمل و نحو ذلك من الفتن،

التي ترجع كلها إلى فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة،

و الشهوات المعارضة للإرادة

فمن كان عند ورود الشبهات يثبت إيمانه و لا يتزلزل،

و يدفعها بما معه من الحق و عند ورود الشهوات الموجبة و الداعية إلى المعاصي والذنوب، أو الصارفة عن ما أمر اللّه به و رسوله،

يعمل بمقتضى الإيمان، و يجاهد شهوته،

دل ذلك على صدق إيمانه و صحته.

و من كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه شكا وريبا،

و عند اعتراض الشهوات تصرفه إلى المعاصي أو تصدفه عن الواجبات،

دلَّ ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه.

❍و الناس في هذا المقام درجات لا يحصيها إلا اللّه:-

فمستقل و مستكثر،

فنسأل اللّه تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا و في الآخرة، و أن يثبت قلوبنا على دينه،

فالابتلاء و الامتحان للنفوس بمنزلة الكير، يخرج خبثها و طيبها.

***سنن ابن ماجه

4024 - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ:-

دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَ هُوَ يُوعَكُ،

فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَوْقَ اللِّحَافِ،

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ

قَالَ: «إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ، وَ يُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ»

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟

قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ» ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: «ثُمَّ الصَّالِحُونَ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ

حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدُهُمْ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يَحُوبُهَا،

وَ إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ، كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ»( )

***وَ هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ:{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}[آلِ عِمْرَانَ: 142]

وَ مِثْلُهَا فِي سُورَةِ "بَرَاءَةٌ" وَ قَالَ فِي الْبَقَرَةِ:

(وهو يوعك) الوعك الحمى وقيل ألمها. وقد وعكه المرض وعكا. ووعك فهو موعوك.

(يحويها) في النهاية التحوية أن يدير كساء حول سنام لبعير ثم يركبه.

و الاسم الحوية والجمع الجوايا.

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [الْبَقَرَةِ: 214] وَ لِهَذَا قَالَ هَاهُنَا:

(وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ)

***الميسر:من الأمم و اختبرناهم،**

ممن أرسلنا إليهم رسلنا، فليعلمنّ الله علماً ظاهراً للخلق

صدق الصادقين في إيمانهم،

و كذب الكاذبين؛ ليميز كلّ فريق من الآخر.

***الَّذِينَ صَدَقُوا فِي دَعْوَاهُمُ الْإِيمَانَ مِمَّنْ هُوَ كَاذِبٌ فِي قَوْلِهِ وَ دَعْوَاهُ.

وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ،

وَ مَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ .

وَ هَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ عِنْدَ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛

وَ لِهَذَا يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ غَيْرُهُ فِي مِثْلِ:

{إِلا لِنَعْلَمَ} [الْبَقَرَةِ: 143] :

إِلَّا لِنَرَى؛ وَ ذَلِكَ أَنَّ الرُّؤْيَةَ إِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بِالْمَوْجُودِ،

وَ الْعِلْمُ أَعَمُّ مِنَ الرُّؤْيَةِ، فَإِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِالْمَعْدُومِ وَ الْمَوْجُودِ.

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ٤

(أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ)

***يفوتونا

❍أي: أحسب الذين همهم فعل السيئات و ارتكاب الجنايات

أن أعمالهم ستهمل،

و أن اللّه سيغفل عنهم، أو يفوتونه

فلذلك أقدموا عليها، و سهل عليهم عملها؟

(سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ)

❍أي: ساء حكمهم، فإنه حكم جائر، لـــــــ:-

1-تضمنه إنكار قدرة اللّه و حكمته،

2-و أن لديهم قدرة يمتنعون بها من عقاب اللّه،و هم أضعف شيء و أعجزه.

مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٥

وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦

(مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ)

يعني: يا أيها المحب لربه، المشتاق لقربه و لقائه، المسارع في مرضاته،

أبشر بقرب لقاء الحبيب،

فإنه آت، و كل آت إنما هو قريب،

فتزود للقائه، و سر نحوه، مستصحبا الرجاء،

مؤملا الوصول إليه،

و لكن، ما كل من يَدَّعِي يُعْطَى بدعواه،

و لا كل من تمنى يعطى ما تمناه،

(وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ)

فإن اللّه سميع للأصوات، عليم بالنيات،

فمن كان صادقا في ذلك:-

أناله ما يرجو،

و من كان كاذبا:-

لم تنفعه دعواه، و هو العليم بمن يصلح لحبه و من لا يصلح.

(وَمَن جَٰهَدَ)

نفسه و شيطانه، و عدوه الكافر،

***كَقَوْلِه: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ} [فُصِّلَتْ: 46]
أَيْ: مَنْ عَمِلَ صَالَحَا فَإِنَّمَا يَعُودُ نَفْعُ عَمَلِهِ عَلَى نَفْسِهِ،
فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ،
وَ لَوْ كَانُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ،مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِهِ شَيْئًا؛
وَ لِهَذَا قَالَ: {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}

(فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ)

لأن نفعه راجع إليه، و ثمرته عائدة إليه،

(إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ)

و الله غني عن العالمين، لم يأمرهم بما أمرهم به لينتفع به،

و لا نهاهم عما نهاهم عنه بُخْلا عليهم.

❍و قد علم أن الأوامر و النواهي يحتاج المكلف فيها إلى جهاد،

لأن نفسه تتثاقل بطبعها عن الخير،

و شيطانه ينهاه عنه،

و عدوه الكافر يمنعه من إقامة دينه، كما ينبغي،

و كل هذا معارضات تحتاج إلى مجاهدات و سعي شديد.

***ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ مَعَ غِنَاهُ عَنِ الْخَلَائِقِ جَمِيعِهِمْ مِنْ إِحْسَانِهِ وَ بِرِّهِ بِهِمْ
يُجَازِي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَحْسَنَ الْجَزَاءِ،
وَ هُوَ أَنَّهُ يُكَفِّرُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا،
وَ يَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ،
فَيَقْبَلُ الْقَلِيلَ مِنَ الْحَسَنَاتِ،
وَ يُثِيبُ عَلَيْهَا الْوَاحِدَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ،
وَ يَجْزِي عَلَى السَّيِّئَةِ بِمِثْلِهَا أَوْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}[النِّسَاءِ: 40]

وَ قَالَ هَاهُنَا:{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ}

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن
رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾
وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ
خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا
مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا
فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ)

يعني أن الذين منَّ اللّه عليهم بالإيمان و العمل الصالح،

سيكفر اللّه عنهم سيئاتهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات،

(وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)

و هي أعمال الخير، من واجبات و مستحبات،

فهي أحسن ما يعمل العبد، لأنه يعمل المباحات أيضا، و غيرها.

وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨

(وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ)

أي:و أمرنا الإنسان، و وصيناه بوالديه حسنا،

أي:ببرهما و الإحسان إليهما، بالقول و العمل،

و أن يحافظ على ذلك، و لا يعقهما و يسيء إليهما في قوله و عمله.

(وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ)

و ليس لأحد علم بصحة الشرك باللّه، و هذا تعظيم لأمر الشرك

(فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)

فأجازيكم بأعمالكم، فبروا والديكم و قدموا طاعتهما،

إلا على طاعة اللّه و رسوله، فإنها مقدمة على كل شيء.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾

أي: من آمن باللّه و عمل صالحا،

فإن اللّه وعده أن يدخله الجنة في جملة عباده الصالحين، من النبيين

و الصديقين و الشهداء و الصالحين،

كل على حسب درجته و مرتبته عند اللّه،

فالإيمان الصحيح و العمل الصالح عنوان على سعادة صاحبه

و أنه من أهل الرحمن، و الصالحين من عباد اللّه تعالى.

***مسند أحمد ط الرسالة

1614 عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ،

قَالَ: أُنْزِلَتْ فِيَّ أَرْبَعُ آيَاتٍ. يَوْمَ بَدْرٍ أَصَبْتُ سَيْفًا

فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺفَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ نَفِّلْنِيهِ،

فَقَالَ: " ضَعْهُ " ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَفِّلْنِيهِ،

فَقَالَ: " ضَعْهُ " ثُمَّ قَامَ فَقَالَ:-

يَا رَسُولَ اللهِ، نَفِّلْنِيهِ أُجْعَلُ كَمَنْ لَا غَنَاءَ لَهُ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" ضَعْهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ}

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ١١﴾

لما ذكر تعالى أنه لا بد أن يمتحن من ادَّعى الإيمان،

ليظهر الصادق من الكاذب،

بيَّن تعالى أن من الناس فريقا لا صبر لهم على المحن،

و لا ثبات لهم على بعض الزلازل فقال: –

(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ)

بضرب، أو أخذ مال، أو تعيير، ليرتد عن دينه، و ليراجع الباطل

(جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِۖ)

أي: يجعلها صادَّة له عن الإيمان و الثبات عليه،

كما أن العذاب صادٌّ عما هو سببه.

(وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ)

لأنه موافق للهوى، فهذا الصنف من الناس من الذين قال اللّه فيهم:–

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)

*****وَ لَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ قَرِيبٌ مِنْ رَبِّكَ -يَا مُحَمَّدُ –وَ فَتْحٌ وَ مَغَانِمُ،**
لَيَقُولُنَّ هَؤُلَاءِ لَكُمْ: إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ، أَيْ كُنَّا إخوانكم في الدين

كما قَالَ تَعَالَى:{الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}[النِّسَاءِ: 141]

وَ قَالَ تَعَالَى:{فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} [الْمَائِدَةِ: 52] .

(أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ)

حيث أخبركم بهذا الفريق، الذي حاله كما وصف لكم،

فتعرفون بذلك كمال علمه و سعة حكمته.

(وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ)

أي: فلذلك قَدَّرَ مِحَنًا و ابتلاء، ليظهر علمه فيهم،

فيجازيهم بما ظهر منهم، لا بما يعلمه بمجرده،

لأنهم قد يحتجون على اللّه، أنهم لو ابتُلُوا لَثَبَتُوا.

***و ليختبرَنّ اللَّهُ النَّاسَ بِالضَّرَّاءِ وَ السَّرَّاءِ،
لِيَتَمَيَّزَ هَؤُلَاءِ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَ مَنْ يُطِيعُ اللَّهَ فِي الضَّرَّاءِ وَ السَّرَّاءِ،
إِنَّمَا يُطِيعُهُ فِي حَظِّ نَفْسِهِ، كَمَا قَالَ تَعالَى:

{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}
[مُحَمَّدٍ: 31]

وَ قَالَ تَعَالَى بَعْدَ وَقْعَةِ أُحُدٍ، الَّتِي كَانَ فِيهَا مَا كَانَ مِنَ الِاخْتِبَارِ وَ الِامْتِحَانِ:
{مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}
الْآيَةَ [آلِ عِمْرَانَ: 179].

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

يخبر تعالى عن افتراء الكفار و دعوتهم للمؤمنين إلى دينهم،

و في ضمن ذلك، تحذير المؤمنين من الاغترار بهم و الوقوع في مكرهم،

فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا﴾

فاتركوا دينكم أو بعضه و اتبعوا في ديننا، فإننا نضمن لكم الأمر

﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾

***وَ آثَامَكُمْ -إِنْ كَانَتْ لَكُمْ آثَامٌ فِي ذَلِكَ -عَلَيْنَا وَ فِي رِقَابِنَا،
كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ:-
"افْعَلْ هَذَا وَ خَطِيئَتُكَ فِي رَقَبَتِي"
❍و هذا الأمر ليس بأيديهم

فلهذا قال: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ﴾

لا قليل و لا كثير. فهذا التحمل، و لو رضي به صاحبه،

فإنه لا يفيد شيئا، فإن الحق للّه،

و اللّه تعالى لم يمكن العبد من التصرف في حقه إلا بأمره و حكمه،

و حكمه(أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)

و لما كان قوله: (وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍ)

قد يتوهم منه أيضا، أن الكفار الداعين إلى كفرهم – و نحوهم

ممن دعا إلى باطله– ليس عليهم إلا ذنبهم الذي ارتكبوه،

دون الذنب الذي فعله غيرهم، و لو كانوا متسببين فيه،

قال:–مخبرا عن هذا الوهم

(وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ)

أي: أثقال ذنوبهم التي عملوها

(وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡ)

و هي الذنوب التي بسببهم و من جرائهم،

فالذنب الذي فعله التابع لكل من التابع ،و المتبوع حصته منه،

هذا لأنه فعله و باشره،

و المتبوع لأنه تسبب في فعله و دعا إليه،

كما أن الحسنة إذا فعلها التابع له أجرها بالمباشرة،

و للداعي أجره بالتسبب.

***إِخْبَارٌ عَنِ الدُّعَاةِ إِلَى الْكُفْرِ وَ الضَّلَالَةِ،
أَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَ أَنْفُسِهِمْ،

وَ أَوْزَارًا أخَر بِسَبَبِ مَنْ أَضَلُّوا مِنَ النَّاسِ
مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِ أُولَئِكَ شَيْئًا،
كَمَا قَالَ تَعَالَى:{لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ}[النَّحْلِ: 25] .

***صحيح مسلم

(2674)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،
قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ،
لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا،
وَ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ،
لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»

***صحيح البخاري

3335 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ-
«لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا،
إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا،
لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ»

(وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ)

*** يَكْذِبُونَ وَ يَخْتَلِقُونَ مِنَ الْبُهْتَانِ.

❍من الشر و تزيينه، و قولهم (وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ)

يخبر تعالى عن حكمه و حكمته في عقوبة الأمم المكذبة،

و أن اللّه أرسل عبده و رسوله نوحا ﷺإلى قومه،

يدعوهم إلى التوحيد و إفراد اللّه بالعبادة،

و النهي عن الأنداد والأصنام،

(فَلَبِثَ فِيهِمْ)

نبيا داعيا

(أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا)

و هو لا يَنِي بدعوتهم،

و لا يفتر في نصحهم،

يدعوهم ليلا و نهارا و سرا و جهارا،

فلم يرشدوا و لم يهتدوا

بل استمروا على كفرهم و طغيانهم،

حتى دعا عليهم نبيهم نوح ﷺ مع شدة صبره و حلمه و احتماله،

فقال:(رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا)

(فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ)

أي: الماء الذي نزل من السماء بكثرة، و نبع من الأرض بشدة

(وَهُمْ ظَالِمُونَ)

مستحقون للعذاب.

***بَعْدَ هَذِهِ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ مَا نَجعَ فِيهِمُ الْبَلَاغُ وَ الْإِنْذَارُ،
فَأَنْتَ -يَا مُحَمَّدُ -لَا تَأْسَفْ عَلَى مَنْ كَفَرَ بِكَ مِنْ قَوْمِكَ، وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ؛
فَإِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَ بِيَدِهِ الْأَمْرُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ،
{إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} [يُونُسَ: 96،97]
وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سَيُظْهِرُكَ وَ يَنْصُرُكَ وَ يُؤَيِّدُكَ، وَ يُذِلُّ عَدُوَّكَ،
وَ يَكْبِتُهُمْ وَ يَجْعَلُهُمْ أَسْفَلَ السَّافِلِينَ.

فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١٩﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٣﴾

فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾

(فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ)

الذين ركبوا معه، أهله و من آمن به.

(وَجَعَلۡنَٰهَآ)

أي: السفينة، أو قصة نوح

(ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ)

يعتبرون بها، على أن من كذب الرسل، آخر أمره الهلاك،

و أن المؤمنين سيجعل اللّه لهم من كل هم فرجا، و من كل ضيق مخرجا.

و جعل اللّه أيضا السفينة، أي:–

جنسها آية للعالمين، يعتبرون بها رحمة ربهم، الذي قيض لهم أسبابها،

و يسر لهم أمرها،

و جعلها تحملهم و تحمل متاعهم من محل إلى محل و من قُطرٍ إلى قُطرٍ.

***إِنَّهَا بَقِيَتْ إِلَى أَوَّلِ الْإِسْلَامِ عَلَى جَبَلِ الْجُودِيِّ،

أَوْ نَوْعُهَا جَعَلَهُ لِلنَّاسِ تَذْكِرَةً لِنِعَمِهِ عَلَى الْخَلْقِ، كَيْفَ نَجَّاهُمْ مِنَ الطُّوفَانِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ. وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ}[يس: 41-44]

وَ قَالَ تَعَالَى:{إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ}[الْحَاقَّةِ: 11، 12]

وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٦ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ

تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ

وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ

وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ

ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١٩﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ

بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾

يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي

ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾

(وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ)

يذكر تعالى أنه أرسل خليله إبراهيم عليه السلام إلى قومه، يدعوهم إلى الله،

فقال لهم:(ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ)

أي: وحّدوه، و أخلصوا له العبادة، و امتثلوا ما أمركم به

(وَٱتَّقُوهُۖ)

أن يغضب عليكم، فيعذبكم،

و ذلك بترك ما يغضبه من المعاصي

(ذَٰلِكُمۡ)

أي: عبادة الله و تقواه

(خَيۡرٞ لَّكُمۡ)

من ترك ذلك،

و هذا من باب إطلاق « أفعل التفضيل » بما ليس في الطرف الآخر منه شيء

فإن ترك عبادة الله، و ترك تقواه، لا خير فيه بوجه،

و إنما كانت عبادة الله و تقواه خيرا للناس،

لأنه لا سبيل إلى نيل كرامته في الدنيا و الآخرة إلا بذلك،

و كل خير يوجد في الدنيا و الآخرة، فإنه من آثار عبادة الله و تقواه.

(إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ)

ذلك، فاعلموا الأمور و انظروا ما هو أولى بالإيثار،

فلما أمرهم بعبادة الله و تقواه، نهاهم عن عبادة الأصنام،

و بيّن لهم نقصها و عدم استحقاقها للعبودية، فقال:

(إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ)

تنحتونها و تخلقونها بأيديكم، و تخلقون لها أسماء الآلهة،

و تختلقون الكذب بالأمر بعبادتها و التمسك بذلك

(إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ)

في نقصه، و أنه ليس فيه ما يدعو إلى عبادته،

(لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا)

فكأنه قيل: قد بان لنا أن هذه الأوثان مخلوقة ناقصة،

لا تملك نفعا و لا ضرا، و لا موتا و لا حياة و لا نشورا،

❍و أن من هذا وصفه، لا يستحق أدنى أدنى مثقال مثقال ذرة مـــــن العبــــــادة و التــــــأله،

❍و القلوب لا بد أن تطلب معبودا تألهه و تسأله حوائجها،

فقال – حاثا لهم على من يستحق العبادة–

(فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ)

فإنه هو الميسر له، المقدر، المجيب لدعوة من دعاه في أمر دينه و دنياه

***وَ هَذَا أَبْلَغُ فِي الْحَصْرِ، كَقَوْلِهِ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الْفَاتِحَةِ: 5] ، {رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ} [التَّحْرِيمِ: 11]

وَ لِهَذَا قَالَ: {فَابْتَغُوا}

أَيْ: فَاطْلُبُوا

{عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ}

أَيْ: لَا عِنْدَ غَيْرِهِ، فَإِنَّ غَيْرَهُ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا،

(وَٱعۡبُدُوهُ)

وحده لا شريك له، لكونه الكامل النافع الضار، المتفرد بالتدبير،

(وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ)

وحده، لكون جميع ما وصل و يصل إلى الخلق من النعم فمنه،

و جميع ما اندفع و يندفع من النقم عنهم فهو الدافع لها.

(إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ)

يجازيكم على ما عملتم،

و ينبئكم بما أسررتم و أعلنتم،

فاحذروا القدوم عليه و أنتم على شرككم،

و ارغبوا فيما يقربكم إليه، و يثيبكم – عند القدوم– عليه.

(أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ)

يوم القيامة

(إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ)

كما قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ)

(قُلۡ)

لهم، إن حصل معهم ريب و شك في الابتداء:

(سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ)

بأبدانكم و قلوبكم

(فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ)

فإنكم ستجدون أمما من الآدميين و الحيوانات،

لا تزال توجد شيئا فشيئا،

و تجدون النبات و الأشجار، كيف تحدث وقتا بعد وقت،

و تجدون السحاب و الرياح و نحوها، مستمرة في تجددها،

بل الخلق دائما في بدء و إعادة،

فانظر إليهم وقت موتتهم الصغرى – النوم–

و قد هجم عليهم الليل بظلامه،

فسكنت منهم الحركات، و انقطعت منهم الأصوات،

و صاروا في فرشهم و مأواهم كالميتين،

ثم إنهم لم يزالوا على ذلك طول ليلهم، حتى انفلق الإصباح،

فانتبهوا من رقدتهم، و بعثوا من موتتهم،

قائلين:«الحمد للّه الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»

و لهذا قال: (ثُمَّ ٱللَّهُ)

بعد الإعادة

(يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَ)

و هي النشأة التي لا تقبل موتا و لا نوما،

و إنما هو الخلود و الدوام في إحدى الدارين.

(إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ)

فقدرته تعالى لا يعجزها شيء

و كما قدر بها على ابتداء الخلق،

فقدرته على الإعادة من باب أولى و أحرى.

﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ ﴾

أي: هو المنفرد بالحكم الجزائي،

و هو إثابة الطائعين و رحمتهم،

و تعذيب العاصين و التنكيل بهم.

***هُوَ الْحَاكِمُ الْمُتَصَرِّفُ، الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ،
وَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ،
وَ لَا يُسأل عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْأَلُونَ،
فَلَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، مَهْمَا فَعَلَ فَعَدْلٌ؛
لأنه الْمَالِكُ الَّذِي لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ،
كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ:
سنن أبي داود
4699 - عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ،
فَقُلْتُ: لَهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ،
فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي
قَالَ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَ أَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ
وَ هُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَ لَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ،
وَ لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ
حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ،
وَ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ،
وَ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ،
وَ لَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ»

○وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:{يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ}
أَيْ: تَرْجِعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ)

أي:ترجعون إلى الدار، التي بها تجري عليكم أحكام عذابه و رحمته،

فاكتسبوا في هذه الدار، ما هو من أسباب رحمته من الطاعات

و ابتعدوا من أسباب عذابه، و هي المعاصي.

(وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ)

أي: يا هؤلاء المكذبون، المتجرؤن على المعاصي،

لا تحسبوا أنه مغفول عنكم،

أو معجزون للّه في الأرض و لا في السماء،

فلا تغرنكم قدرتكم

و ما زينت لكم أنفسكم و خدعتكم، من النجاة من عذاب الله،

فلستم بمعجزين الله في جميع أقطار العالم.

(وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ)

يتولاكم، فيحصل لكم مصالح دينكم و دنياكم،

(وَلَا نَصِيرٍ)

ينصركم، فيدفع عنكم المكاره.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٣﴾

(﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ﴾)

يخبر تعالى من هم الذين زال عنهم الخير،و حصل لهم الشر،

و أنهم الذين كفروا به و برسله، و بما جاءوهم به، و كذبوا بلقاء اللّه،

فليس عندهم إلا الدنيا،

فلذلك قدموا على ما أقدموا عليه من الشرك و المعاصي،

لأنه ليس في قلوبهم ما يخوفهم من عاقبة ذلك،

و لهذا قال تعالى: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي﴾)

أي: فلذلك لم يعلموا سببا واحدا يحصلون به الرحمة،

و إلا لو طمعوا في رحمته، لعملوا لذلك أعمالا و الإياس من رحمة اللّه

من أعظم المحاذير،

و هو نوعـــــــان:-

1-إياس الكفار منها، و تركهم جميع سبب يقربهم منها،

2-و إياس العصاة، بسبب كثرة جناياتهم أوحشتهم،

فملكت قلوبهم، فأحدث لها الإياس،

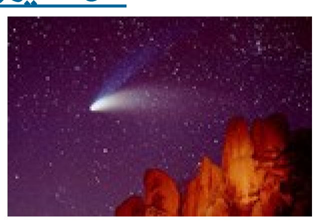
(﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾)

أي: مؤلم موجع.

و كأن هذه الآيات معترضات بين كلام إبراهيم عليه السلام لقومه،

و ردهم عليه، و اللّه أعلم بذلك.

قل سيروا في الأرض: رؤية علمية جديدة



وفي هذا البحث سوف نرى بأن العلماء قد اكتشفوا بالفعل أن أسرار نشوء الكائنات وبدايات خلق الأرض وتشكلها وتاريخ هذه الأرض....

ملخص البحث

في هذا البحث نستعرض بعض الأسرار العلمية لعالم الخلق وكيف أن الله تبارك وتعالى قد خزَّن معلومات بداية الخلق في كل شيء من حولنا...

ففي بداية الألفية الثالثة يكثر حديث العلماء عن الكتب أو السجلات المحفوظة في الأرض، ولكن ما هي هذه الكتب وما هو شكل صفحاتها وما هو شكل كلماتها؟

إن الغرب اليوم يدعي أنه أول من بدأ مسيرة البحث العلمي في هذا المجال من جالات العلم، أي نشوء الحياة، ولكن ربما نعجب إذا علمنا أن القرآن هو أول كتاب أطلق هذه الدعوة، الدعوة إلى البحث في أسرار بداية الخلق من خلال السير والتنقيب و البحث في الأرض. يقول تعالى:

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [العنكبوت: 20].

هذه الآية الكريمة تؤكد على ضرورة أن نسير في الأرض وننظر ونتأمل من حولنا وندرس ما حولنا من أجل اكتشاف (كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)

و مثل هذه الآيات كانت سبباً في تحفيز علمائنا قديماً لاكتشاف الكثير من العلوم

و وضع النظريات وهذا ما ساهم في دفع عجلة العلم ولذلك كان لعلماء المسلمين الفضل في كثير من العلوم، التي أخذها عنهم علماء أوربا واستفادوا منها وقاموا بتطويرها.

وفي هذا البحث سوف نرى بأن العلماء قد اكتشفوا بالفعل أن أسرار نشوء الكائنات وبدايات خلق الأرض وتشكلها وتاريخ هذه الأرض،

كل ذلك مدوّن بلغة خاصة في صخور الأرض وفي طبقات الجليد وجذوع الأشجار.

وهذه الظواهر تدعونا لليقين بلقاء الله تعالى واليقين بصدق كتابه وصدق رسالته، ولذلك قال عز وجل في آية أخرى:

(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ) [الذاريات: 20]

نسأل الله تعالى أن نكون من الموقنين.

مقدمة

لقد بدأ العلماء رحلة البحث عن بدايات الخلق وذلك عبر الصخور والمتحجرات وفي أعماق البحار وغير ذلك.

واكتشفوا أن سر المخلوقات وبداية الحياة موجود في الأرض.

ولذلك فإنهم أطلقوا آلاف الأبحاث العلمية التي تتحدث عن عمر الأرض وأعمار المخلوقات وكيفية نشوئها وكيف تشكلت الجبال ومتى وكيف نشأت البحار والنباتات وغيرها. فتاريخ أرضنا مختزن في ذرات التراب والصخور والنباتات وفي كل ذرة ماء! إن هذا الأمر يتكرر مع الباحثين في تاريخ الإنسان أيضاً،

فقد وجدوا "سجلات محفوظة" داخل كل خلية من خلايا الإنسان.

وعندما وجدوا جمجمة بشرية تعود لأكثر من مئة ألف سنة تبين لهم بنتيجة تحليل ذراتها أن كل شيء موجود ومحفوظ في ثنايا هذه العظام:

تركيب ذلك الإنسان الذي عاش قبل مئة ألف سنة،

ومواصفاته ومتوسط عمره وحتى نوعية غذائه وشرابه!!

ونحن اليوم بحاجة ماسَّة لتأمل هذه الاكتشافات لنزداد إيماناً بالله تعالى،

ولندرك أن الله قادر على إعادة الخلق كما قال عز وجل:

(ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) **[العنكبوت: 20].**

فعندما يتعمق الإنسان في هذه الآيات الكونية من حوله،

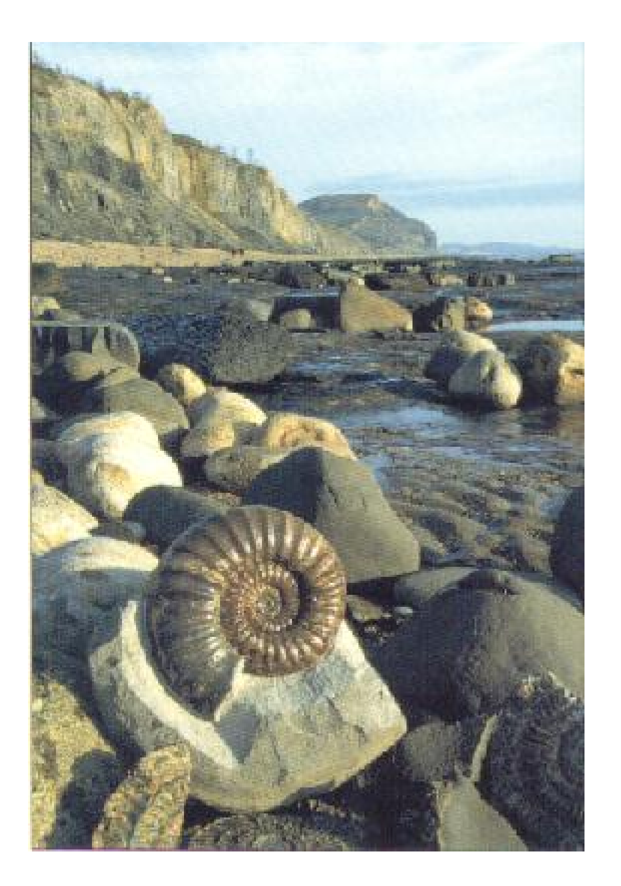
فإنه يزداد يقيناً بلقاء الخالق جل وعلا، وهذا اليقين سوف يبقينا على صلة بالله تعالى، لتستقيم أعمالنا وتصبح خالصة لوجهه الكريم،

عسى أن نكون من الذين قال الله في حقهم: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ) **[الذاريات: 20].**

معلومات مختزنة في صخور الأرض

لقد أودع الله تعالى في ذرات الصخور معلومات حول تاريخ تشكل هذه الصخور وكيف تشكلت. هذه المعلومات تروي بداية خلق وتشكل هذه الصخور.

طبعاً المعلومات ليست مكتوبة باللغة التي نعرفها، بل مكتوبة بلغة خاصة اكتشفها العلماء حديثاً وحروفها الذرات والجزيئات، وقواعدها هي القوانين الفيزيائية التي خلقها الله وسخرها لنا لتكون دليلاً ومرشداً نستطيع من خلاله معرفة بداية وأسرار الخلق.



يبحث العلماء اليوم في طبقات التراب عن أسرار الخلق،

وقد لاحظوا أن كل طبقة تسجل تاريخاً محدداً من عمر الأرض. وهنا نتذكر قوله تعالى:

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) [العنكبوت: 20].

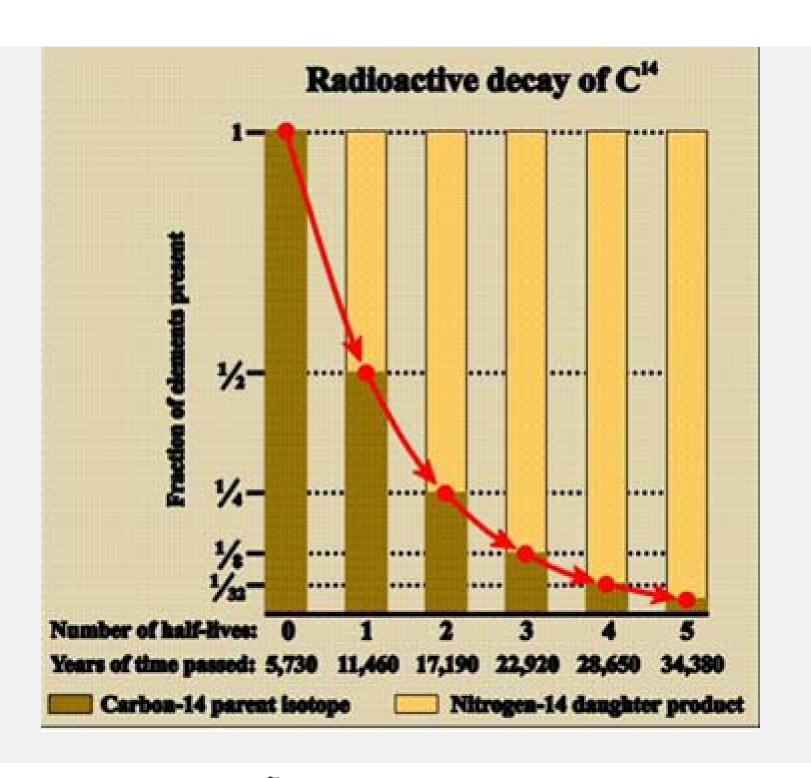
ففي هذه الآية إشارة واضحة إلى أن أسرار بدء الخلق مكتوب في الأرض.

فكل طبقة من طبقات الصخور وبخاصة الصخور الرسوبية تحكي لنا رواية حياتها والظروف التي مرت بها،

وقد أودع الله في الصخور البركانية ما يسمى النظائر المشعة مثل عنصر الكربون (الكربون المشع)، واليورانيوم والثوريوم... والتي تدلنا على عمر هذه الصخور،

وظروف تكوّنها. حيث اكتشف العلماء القوانين التي تحكم هذا العنصر وكيف تنخفض نسبة الإشعاع مع مرور الزمن.
حيث يعمل العلماء على قياس كمية الإشعاع المتبقية وبالتالي يحسبون عمر هذه الصخرة. لقد سخر الله للبشر اختراع أجهزة قياس واكتشاف القوانين الفيزيائية وهذا ما ساعدهم اليوم على تحديد عمر الأرض وعمر القمر وعمر النجوم وعمر الكون...

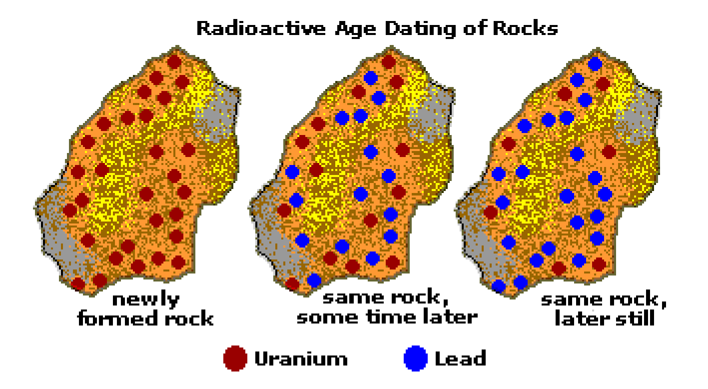
مثال: نصف عمر half-life **الكربون 14 هو 5730 سنة،**
أي كل 5730 سنة تتحول نصف ذرات الكربون 14 إلى نتروجين 14
ثم كلما مضى هذا العمر تحولت نصف الكمية المتبقية
وهكذا بشكل سلسلة تحولات حتى تتبقى كمية صغيرة جداً
(بعد أكثر من خمسين ألف سنة تقريباً تكون كمية الكربون المتبقية غير قابلة للقياس).



يتحول عنصر الكربون 14 بمرور الزمن إلى عنصر آخر هو النتروجين
وهناك فترات متساوية (مدة كل منها 5730 سنة) تسمى نصف عمر العنصر،
حيث تتحول نصف الكمية خلال هذه الفترة إلى عنصر آخر،
ثم تتحول نصف الكمية المتبقية خلال نفس الزمن إلى ذلك العنصر...
وهكذا وفق قانون ثابت سخره الله تعالى لنا لنكتشف من خلاله عمر هذه الصخور.
ونود في هذا المقام أن نوجه سؤالاً لكل من يدعي أن الكون قد وجد بالمصادفة:
من أين جاء هذا التقدير المحكم وهذه السجلات المحفوظة بعناية فائقة؟
ومن الذي نظم هذه القوانين الدقيقة وجعل كل شيء منظماً..
هل هي الطبيعة أم خالق الطبيعة عز وجل؟ يقول تعالى:

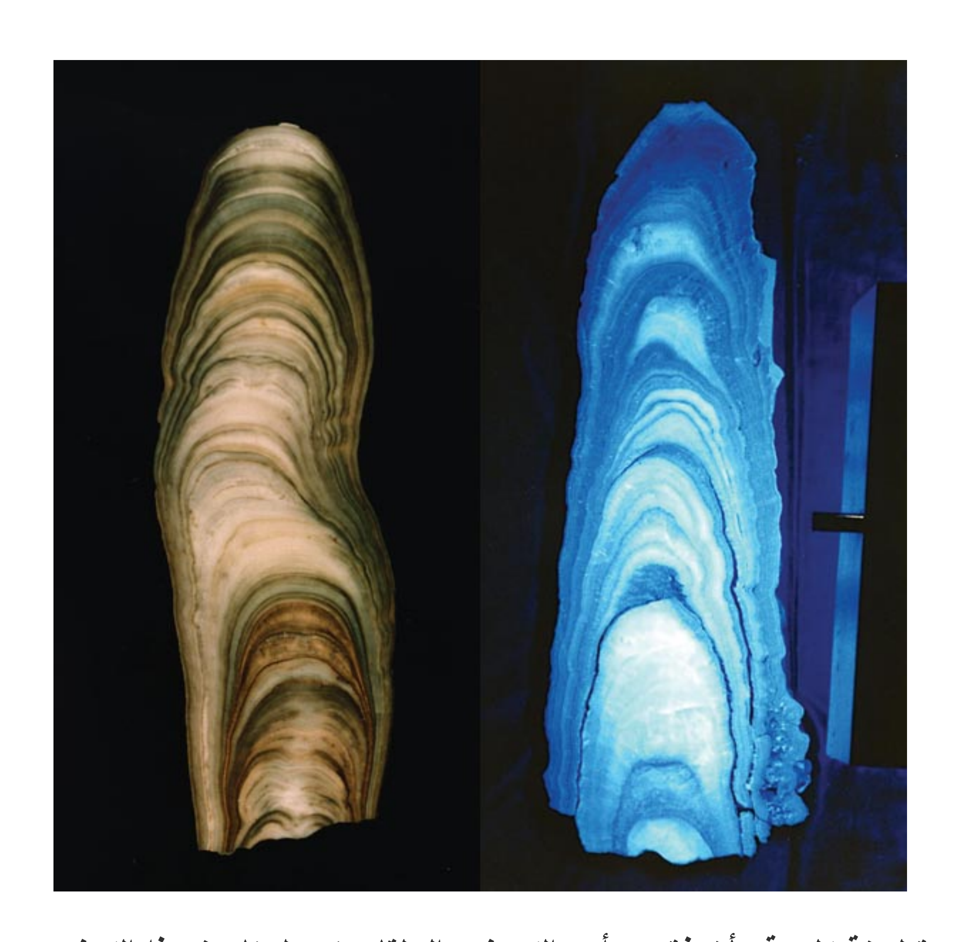
(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

[لقمان: 11].



رسم يمثل صخرة تشكلت قديماً ونرى كيف تقل نسبة اليوررانيوم والذي يتحول تدرجياً إلى رصاص مع مرور الزمن

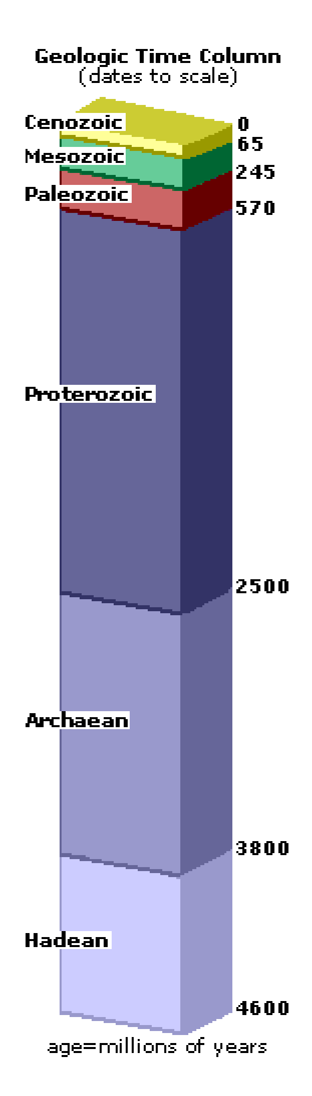
(الرصاص باللون الأزرق، اليورانيوم باللون الأحمر).



صورة لعينة كلسية مأخوذة من أحد الكهوف، الحلقات تسجل تاريخ هذا الكهف والظروف السائدة خلال فترة محددة في الماضي،

إن الرطوبة وقطرات المطر ساهم في تشكل هذه الحلقات خلال آلاف السنين....

فسبحان الخالق العظيم!



بناء على المعلومات المختزنة في الأرض والتي تم رصدها وتسجيلها تمكن العلماء من معرفة وتصنيف تاريخ الأرض إلى مراحل كما هو مبين في الرسم، فقد تبين أن عمر الأرض يبلغ بحدود 4600 مليون سنة، وقد مرت بعدة عصور كل عصر له خصائصه ومدته الزمنية.

معلومات مختزنة في المتحجرات

عندما تموت الكائنات الحية تتحول بمرور الزمن إلى متحجرات

وبالتالي يمكن تقدير عمر هذا الكائن من خلال نسبة الكربون المتبقية في عظامه.

ونقول: سبحان الله! لقد كرّم الله الإنسان فلم يتركه حائراً،

بل وضع له دلائل على وجوده عز وجل، وأنه قادر على كل شيء،

وأنه يعلم كل شيء، بل كل أعمالك أيها الإنسان مكتوبة محفوظة

فحاسب نفسك قبل أن تحاسب!



لقد أودع الله تعالى قوانين فيزيائية دقيقة في المواد التي خلقها،

هذه القوانين عندما نبحث فيها يمكننا رؤية تفاصيل الماضي.

ففي المستحاثات نجد أن العلماء تمكنوا من معرفة عمر هذه الكائنات

وفي أي عصر عاشت وما هي الظروف السائدة في ذلك العصر إلى غير ذلك من

المعلومات التي تم تخزينها في ذرات هذه المتحجرات.

معلومات مختزنة في الماء المتجمد

منذ (24) ألف سنة مرَّت الأرض بالعصر الجليدي حيث غطى الجليد مساحات شاسعة من الكرة الأرضية وبارتفاع يبلغ آلاف الأمتار.

وأصبح علماء المناخ اليوم يخبروننا بدقة مذهلة عن ذلك العصر:-

حالة الطقس، درجات الحرارة، تركيب الغلاف الجوي،

وغير ذلك من المعلومات التفصيلية فكيف استطاعوا معرفة ذلك؟

وعندما قام أحد الباحثين باقتطاع قطعة جليد من الثلوج المتراكمة على جبال الألب تبين أنها تعود لـ (24) ألف سنة مضت

وعندما قام بتحليلها واختبارها ظهرت فيها خطوط دقيقة كل خط يصفُ حالة الطقس خلال سنة، ولا يزال الهواء المحفوظ بين ذراتها كما هو منذ تلك الفترة!

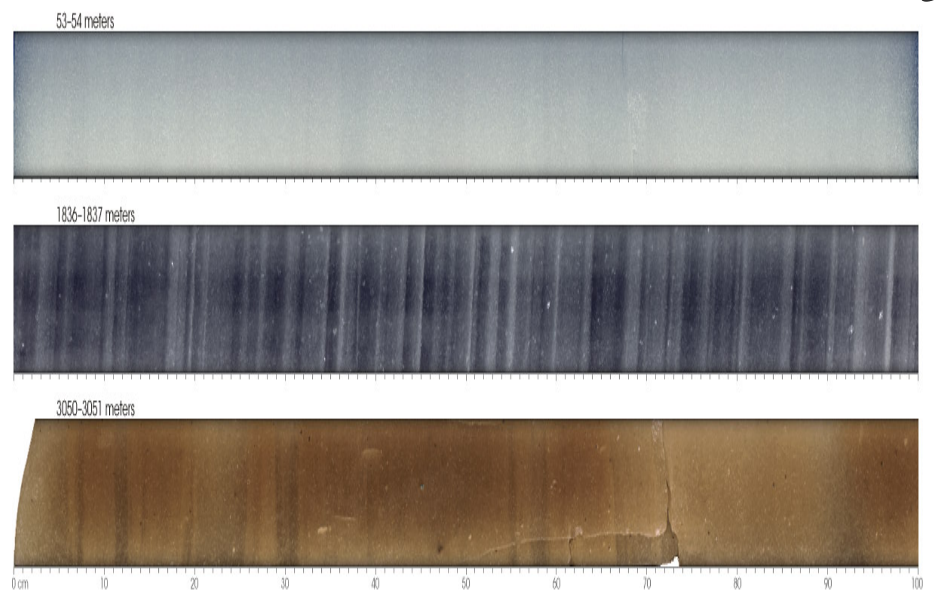


كذلك يبحث العلماء في طبقات الجليد التي مضى علها آلاف السنين عن أسرار بداية الخلق، وقد وجدوا أشياء عجيبة، وهي أن تاريخ العصر الجليدي مكتوب في طبقات الجليد.

ففي عينات الجليد المأخوذة تتم دراسة شكل المقاطع العرضية ودراسة الخطوط المتشكلة مع مرور الزمن وكذلك الأملاح المذابة وكمية فقاعات الهواء والغازات الأخرى لتحديد درجة حرارة الأرض في ذلك الوقت

وتبقى هذه المعلومات مختزنة في سجلات تسمى سجلات المناخ Records of the climate

هذه السجلات تحوي كل شيء يتعلق بمناخ الأرض قبل آلاف السنين،
حتى درجة التلوث والفصول الدافئة والفصول الباردة من السنة...



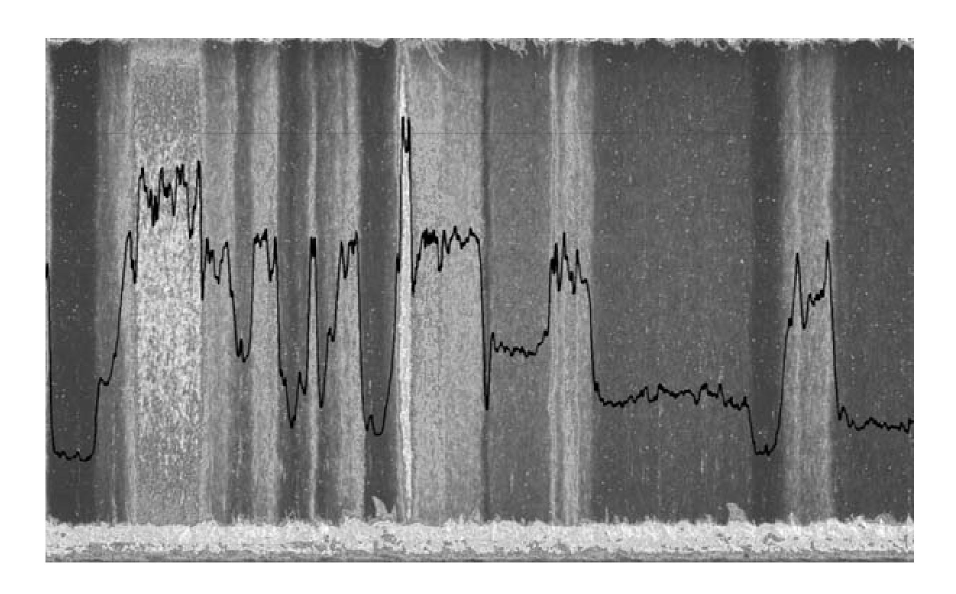
مقطع من لوح جليد اقتطع من أعماق مختلفة
(الحلقات تظهر على عمق أكثر من 1800 متراً)،
ونرى فيه خطوطاً يعبر كل خط عن مرحلة زمنية مر بها هذا الجليد،
فانظروا معي كيف كتب الله لنا تاريخ الأرض وأمرنا أن نسير فيها لنبحث عن بداية الخلق عسى أن ندرك أن قدرة الله على إحياء الموتى يوم القيامة،
وأن الله على كل شيء قدير.
بل عرف العلماء أكثر من ذلك، فقد نزل الباحثون إلى أعمق منجم للفحم
فوجدوا مياه متدفقة بشكل دائم.
وعندما أخذوا عينة من هذا الماء وجدوا أنها تعود لملايين السنوات!

وفيها كائنات حية لا تزال كما هي منذ ذلك الزمن تتكاثر وتعيش في ظروف قاسية بانعدام الضوء والهواء.

وتعرَّفوا من خلال تحليل هذا الماء على شكل الحياة في ذلك الزمن وحالة المناخ!



عينة من جليد من أجل الدراسة والبحث لمعرفة تاريخ الأرض والمعلومات المخزنة في حلقات هذا الجليد.



صورة مكبرة لعينة من الثلج مأخوذة من شمال جزيرة غرينلاند على عمق 1800 متراً، وقدر عمر هذه العينة ب 20000 سنة،

ويظهر المنحني اختلاف الكثافة في طبقات هذه العينة

وهذا المنحني يساعد العلماء على فهم تاريخ الأرض خلال تلك الحقبة من الزمن.

معلومات مختزنة في النيازك

العملية ذاتها تكررت مع باحثين في الفضاء عندما قاموا بالتقاط بعض النيازك الصغيرة التي سقطت على الأرض وحلّلوها

فوجدوا في كل جزء من أجزائها سجلاً حافلاً بالمعلومات،

استطاعوا بواسطته معرفة حالة الكون قبل أربعة آلاف مليون سنة!

طبعاً هذه المعلومات حصلوا عليها من خلال دراسة بنية هذا النيزك ونوع ذراته وكمية الإشعاع المتبقية فيه، حتى إنهم وجدوا آثاراً لحياة بدائية جاءت من الفضاء!



إن النيازك التي تهبط وتخترق الغلاف الجوي وتنجو من الاحتراق،
وبعد دراستها من قبل العلماء تبين أنها تحوي بعض الأسرار المتعلقة ببداية الخلق،
وأنها محملة بجزيئات عضوية وهذه المواد تؤكد أن الحياة موجودة أيضاً خارج الأرض
في المجرات البعيدة، وهذا ما أشار إليه القرآن بقوله تعالى:

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) [الشورى: 29].

إن أبحاث الفضاء الحديثة أثبتت بشكل قاطع أن للكون بداية،
ولذلك فقد تأكد العلماء مئة بالمئة أن الكون ليس أزلياً إنما هناك بداية للخلق،
وهذا ما تحدث عنه القرآن في زمن كان الاعتقاد السائد بأزلية الكون،
فمن الذي أخبر سيدنا محمداً ﷺ بذلك؟ إنه الله القائل:

(قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) [يونس: 34].



صورة لمجموعة من الباحثين ينقبون في طبقات الصخور لاكتشاف تاريخ الأرض قبل آلاف السنين، وحالة المناخ السائدة في ذلك الوقت،
وإعطاء تفسير لسرّ نشوء الأرض وبداية تكون هذه الصخور.

معلومات مختزنة في جذوع الأشجار

يستطيع العلماء اليوم معرفة الكثير من المعلومات عن تاريخ الأشجار من خلال ما يسمى بالحلقات الموجودة في جذوع الأشجار.
هذه الحلقات تختزن معلومات حول عمر الشجرة، حالة المناخ المحيطة بهذه الشجرة وتقلبات الطقس، الأضرار التي تعرضت لها الشجرة، تخبرنا بحدوث فيضان، أو حريق في الغابة وغير ذلك مما حدث خلال السنوات الماضية، بل خلال آلاف السنين.
كل حلقة تمثل سنة من عمر الشجرة، وتفاصيل هذه الحلقة وشكل الدائرة والبعد بين الحلقة والتي تليها والتفاصيل المرسومة على كل حلقة وغير ذلك...

تخبرنا بتاريخ هذه الشجرة وتقدم لنا تفاصيل دقيقة عن حياتها بل عن كل فصل من فصول السنة التي مرت بها.



صورة لمقطع في جذع شجرة ويبين وجود حلقات متعددة وكل حلقة لدى دراستها يتبين أنها تختزن تاريخ فترة محددة من الزمن،

وسبحان الله الذي أودع هذه الأسرار في مخلوقاته.

فمن كان يتصور أن تاريخ الأرض مكتوب في جذع شجرة!

لقد تمكن العلماء من معرفة أسرار العصر الجليدي قبل عشرات الآلاف من السنين من خلال دراسة حلقات جذوع الأشجار،

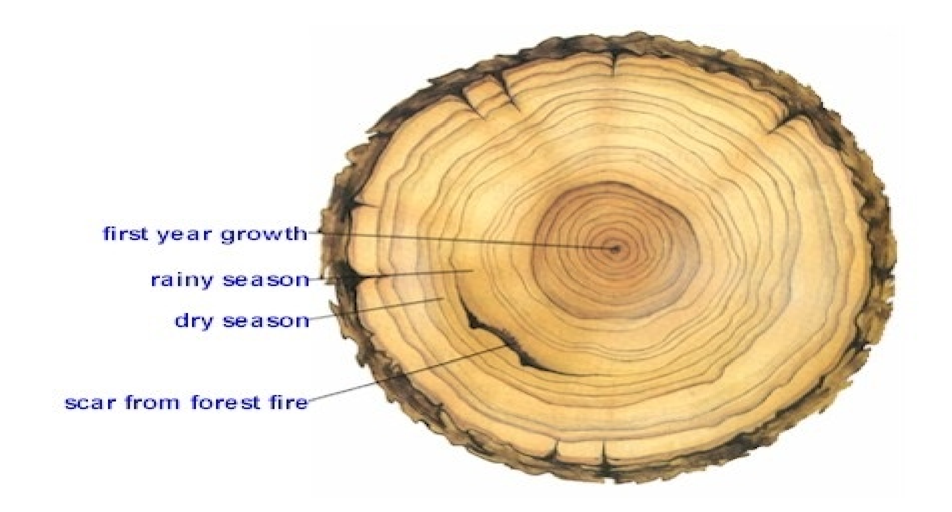
فهذه الحلقات تعتبر مصدراً ممتازاً اليوم عن تحديد نسبة الكربون في الجو منذ ذلك التاريخ. وبالتالي معرفة هجرة البشر وتنقلهم عبر الزمن من مكان لآخر.

وبناء على اكتشاف أسرار دورة المناخ يقوم العلماء بالتنبؤ بحالة الطقس في المستقبل.

إن هذه الدقة في الخلق تجعلنا نتذكر قول الحق جل وعلا:

(صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) [النمل: 88]

ونتذكر أن الله خبير بأفعالنا صغيرها وكبيرها، ولا يعزب عنه من مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك، سبحانه وتعالى.



لنتأمل هذه الصورة الرائعة، في داخل هذه الحلقات هناك معلومات تدل على التاريخ المفصل لهذه الشجرة،

فكما نرى في الرسم فإن الحلقة المركزية تمثل السنة الأولى من عمر الشجرة،

وهكذا تتوالى الحلقات، ويمكننا تمييز الفترات الممطرة من الفترات الجافة من خلال شكل الحلقة وعمقها ولونها،

حتى إن العلماء يستطيعون تمييز الحريق الذي حدث ذلك الوقت من خلال التشوه في شكل الحلقة. وكذلك يميزون فترة الانفجار البركاني التي حدثت قبل آلاف السنين،

أسرار بداية الخلق موجودة في الأرض

إذاً القاعدة التي نستنتجها من هذه المعطيات أن كل شيء محفوظ بكتاب ولكن حروف هذا الكتاب هي الذرات! وهذه الكشوف حدثت كلها في القرن العشرين.

وهنا نتساءل: هل يوجد في كتاب الله عز وجل حديث عن هذه الكتب المحفوظة؟

إنها الآية التي ردَّ الله بها دعوى المنكرين للبعث بعد الموت عندما قالوا:

فقد استغربوا بعد تحولهم لتراب كيف يعودون للحياة.

يقول تعالى على لسان المشركين: (أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) [ق: 3]،

فماذا أجابهم الله عز وجل؟ يقول تعالى:

(قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ) [ق: 4].

فإذا كنا نحن البشر نستطيع معرفة الكثير من الأشياء عن الماضي من خلال هذه المعلومات المدونة في الذرات من حولنا، فكيف بعلم الله عز وجل؟

إن الدعوة التي أطلقها القرآن قبل أربعة عشر قرناً والتي تؤكد أن سر بداية الخلق موجود في الأرض، حيث أمر الله تعالى بأن نسير في الأرض وننظر ونتأمل ونبحث في نشوء الحياة وكيف بدأ الخلق، لنستيقن بأن الله هو الحق وأنه قادر على إعادة الخلق يوم القيامة، يقول تعالى:

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [العنكبوت: 20].

ولنزداد يقيناً بلقاء الله تعالى فهو القائل: (وفى الأرض آيات للموقنين)

صدق الله العظيم.

بقلم عبد الدائم الكحيل

www.kaheel7.com/ar

المراجع

1. http://pubs.usgs.gov/gip/geotime/divisions.html
2. http://geology.utah.gov/surveynotes/gladasked/gladage.htm
3. Scientists to Unearth Ice Age Secrets from Preserved Tree Rings, ScienceDaily (Apr. 6, 2010) — Oxford.http://www.sciencedaily.com/releases/2010/04/100405103837.htm
4. From Tree Rings to Ice Cores, http://www.bbc.co.uk/weather/features/science_nature/archaeological_dating.shtml
5. New Clue to How Last Ice Age Ended, ScienceDaily (Sep. 8, 2010) http://www.sciencedaily.com/releases/2010/09/100908132214.htm
6. Climate Reconstructions, www.ncdc.noaa.gov
7. http://www.climatevariabilty.com/
8. http://www.pmel.noaa.gov/foci/ice06/FOCI_Ice2006_archiveLatestImages.html
9. http://earthobservatory.nasa.gov/Features/Paleoclimatology_IceCores/
10. http://www-bprc.mps.ohio-state.edu/Icecore/front-page.html
11. http://www.ltrr.arizona.edu/dendrochronology.html
12. http://earthobservatory.nasa.gov/Features/Paleoclimatology_Speleothems/
13. Reconstructing past environmental changes using speleothems, http://www.niwa.co.nz/news-and-publications/publications/all/wa/12-2/speleo
14. http://www.ace.mmu.ac.uk/resources/gcc/3-3-7.html

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم
بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن
نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ
وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ
لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ
مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ
وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ
إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾
قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٣٠﴾

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ

أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٥

(فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن)

أي فما كان مجاوبة قوم إبراهيم إبراهيم حين دعاهم إلى ربه قبول دعوته،

و الاهتداء بنصحه، و رؤية نعمة اللّه عليهم بإرساله إليهم،

و إنما كان مجاوبتهم له شر مجاوبة.

(قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ)

أشنع القتلات، و هم أناس مقتدرون، لهم السلطان، فألقوه في النار

***وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ قَامَ عَلَيْهِمُ الْبُرْهَانُ، وَ تَوَجَّهَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ،

فَعَدَلُوا إِلَى:- اسْتِعْمَالِ جَاهِهِمْ وَ قُوَّةِ مُلْكِهِمْ،

{قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ}

[الصَّافَّات: 97، 98].

وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ حَشَدوا فِي جَمْعِ أَحِطَابٍ عَظِيمَةٍ مُدَّةً طَوِيلَةً،

و حَوّطوا حَوْلَهَا، ثُمَّ أَضْرَمُوا فِيهَا النَّارَ،

فَارْتَفَعَ لَهَا لَهَبٌ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ:

وَ لَمْ تُوقَدْ نَارٌ قَطُّ أَعْظَمُ مِنْهَا،

ثُمَّ عَمَدُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَكَتَّفُوهُ وَ أَلْقَوْهُ فِي كَفَّةِ الْمَنْجَنِيقِ،

ثُمَّ قَذَفُوا بِهِ فِيهَا، فَجَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ بَرْدًا وَ سَلَامًا،

وَ خَرَجَ مِنْهَا سَالِمًا بَعْدَ مَا مَكَثَ فِيهَا أَيَّامًا.
وَ لِهَذَا وَ أَمْثَالِهِ جَعَلَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا.
فَإِنَّهُ بَذَلَ نَفْسَهُ لِلرَّحْمَنِ، وَ جَسَدَهُ لِلنِّيرَانِ،
وَ سَخَا بِوَلَدِهِ لِلْقُرْبَانِ،
وَ جَعَلَ مَالَهُ لَلضِّيفَانِ،
وَ لِهَذَا اجْتَمَعَ عَلَى مَحَبَّتِهِ جَمِيعُ أَهْلِ الْأَدْيَانِ.

(فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ)

***سَلَّمه اللَّهُ مِنْهَا، بِأَنْ جَعَلَهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَ سَلَامًا،

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)

فيعلمـــــون:-

1-صحة ما جاءت به الرسل،

2-و بِرَّهُمْ و نصحهم،

3-و بطلان قول من خالفهم و ناقضهم،

4-و أن المعارضين للرسل كأنهم تواصوا و حث بعضهم بعضا على التكذيب.

(وَقَالَ)

لهم إبراهيم في جملة ما قاله من نصحه: -

(إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ)

أي: غاية ذلك، مودة في الدنيا ستنقطع و تضمحل،

*** لِتَجْتَمِعُوا عَلَى عِبَادَتِهَا فِي الدُّنْيَا، صَدَاقَةً وَ أُلْفَةً مِنْكُمْ،

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ)

***تَتَجَاحَدُونَ مَا كَانَ بَيْنَكُمْ،

{وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا}

أَيْ: يَلْعَنُ الْأَتْبَاعُ الْمَتْبُوعِينَ، وَ الْمَتْبُوعُونَ الْأَتْبَاعَ،

{كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا} [الْأَعْرَافِ: 38]

وَ قَالَ تَعَالَى:{الأَخِلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ} [الزُّخْرُفِ: 67] وَ قَالَ هَاهُنَا {ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا}

(وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ)

أَيْ: وَ مَصِيرُكُمْ وَ مَرْجِعُكُمْ بَعْدَ عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ إِلَى النَّار

(وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ)

وَ مَا لَكَمَ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُكُمْ،
وَ لَا مُنْقِذٍ يُنْقِذُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.
وَ هَذَا حَالُ الْكَافِرِينَ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَبِخِلَافِ ذَلِكَ.

❍أي: يتبرأ كل من العابدين و المعبودين من الآخر

(وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ)

فكيف تتعلقون بمن يعلم أنه سيتبرأ من عابديه و يلعنهم؟

و أن مأوى الجميع، العابدين و المعبودين « النَّار »

و ليس أحد ينصرهم من عذاب اللّه، و لا يدفع عنهم عقابه.

❁ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾

(فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ)

***أَنَّهُ آمَنُ لَهُ لُوطٌ، يُقَالُ: إِنَّهُ ابْنُ أَخِي إِبْرَاهِيمَ، يَقُولُونَ هُوَ:-
لُوطُ بْنُ هَارَانَ بْنِ آزَرَ،
***أرسِل فِي حَيَاةِ الْخَلِيلِ إِلَى أَهْلِ "سَدوم" وَ إِقْلِيمِهَا،
وَ كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا تَقَدَّمَ وَ مَا سَيَأْتِي.

❍أي: لم يزل إبراهيم عليه السلام يدعو قومه،

و هم مستمرون على عنادهم،

إلا أنه آمن له بدعوته لوط، الذي نبأه اللّه،

و أرسله إلى قومه كما سيأتي ذكره.

(وَقَالَ)

إبراهيم عليه السلام حين رأى أن دعوة قومه لا تفيدهم شيئا:–

(إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ)

أي: هاجر أرض السوء، و مهاجر إلى الأرض المباركة، و هي الشام،

(إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ)

أي: الذي له القوة، و هو يقدر على هدايتكم،

(ٱلۡحَكِيمُ)

*** فِي أَقْوَالِهِ وَ أَفْعَالِهِ وَ أَحْكَامِهِ الْقَدَرِيَّةِ وَ الشَّرْعِيَّةِ.

❍و لكنه حَكِيمٌ ما اقتضت حكمته ذلك،

و لما اعتزلهم و فارقهم، و هم بحالهم،

لم يذكر اللّه عنهم أنه أهلكهم بعذاب،

بل ذكر اعتزاله إياهم، و هجرته من بين أظهرهم.

فأما ما يذكر في الإسرائيليات:-

أن اللّه تعالى فتح على قومه باب البعوض،

فشرب دماءهم، و أكل لحومهم، و أتلفهم عن آخرهم،

فهذا يتوقف الجزم به على الدليل الشرعي، و لم يوجد،

فلو كان اللّه استأصلهم بالعذاب لذكره كما ذكر إهلاك الأمم المكذبة،

و لكن لعل من أسرار ذلك:-

أن الخليل عليه السلام من أرحم الخلق و أفضلهم و أحلمهم و أجلهم،

فلم يدع على قومه كما دعا غيره،

و لم يكن اللّه ليجري بسببه عذابا عاما.

و مما يدل على ذلك:-

أنه راجع الملائكة في إهلاك قوم لوط، و جادلهم، و دافع عنهم،

و هم ليسوا قومه، و اللّه أعلم بالحال.

(وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ)

أي: بعد ما هاجر إلى الشام

***كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا}[مَرْيَمَ: 49]

أَيْ: إِنَّهُ لَمَّا فَارَقَ قومَه أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ بِوُجُودِ وَلَدٍ صَالِحٍ نَبِيٍّ وَ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ صَالِحٌ فِي حَيَاةِ جَدِّهِ.

وَ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ:{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً}[الأنبياء: 72]

(وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ)

فلم يأت بعده نبي إلا من ذريته، و لا نزل كتاب إلا على ذريته،

حتى ختموا بالنبي محمد ﷺو عليهم أجمعين.

و هذا من أعظم المناقب و المفاخر أن :-

تكون مواد الهداية و الرحمة و السعادة و الفلاح في ذريَّته

و على أيديهم اهتدى المهتدون، و آمن المؤمنون، و صلح الصالحون.

(وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا)

من الزوجة الجميلة الْحَسَنَةُ الصَّالِحَةُ، فائقة الجمال،

و الرزق الواسع [الهنيَّ وَ الْمَنْزِلُ الرَّحْب، وَ الْمَوْرِدُ الْعَذْبُ،

وَ الثَّنَاءُ الْجَمِيلُ، وَ الذِّكْرُ الْحَسَنُ] و الأولاد،

الذين بهم قرت عينه، و معرفة اللّه و محبته، و الإنابة إليه.

(وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ)

بل هو و محمد صلى اللّه عليهما وسلم أفضل الصالحين على الإطلاق،

و أعلاهم منزلة، فجمع اللّه له بين سعادة الدنيا و الآخرة.

***جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ سَعَادَةِ الدُّنْيَا الْمَوْصُولَةِ بِسَعَادَةِ الْآخِرَةِ،
فَكُلُّ أَحَدٍ يُحِبُّهُ وَ يَتَوَلَّاهُ،
كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمْ،
مَعَ الْقِيَامِ بِطَاعَةِ اللَّهِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى} [النَّجْمِ: 37]
أَيْ: قَامَ بِجَمِيعِ مَا أُمِرَ بِهِ، وَ كَمَّلَ طَاعَةَ رَبِّهِ؛
وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:{وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}
كَمَا قَالَ تَعَالَى:{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي
الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}[النحل: 120-121] .

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ

إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾

قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٣٠﴾

(وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ)

***الميسر:**أإنكم لتأتون الرجال في أدبارهم،**

(وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ)

***الجزائري:**باعتدائكم على المارة في السبيل فامتنع الناس من المرور خوفاً منكم.**

(وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ)

***يَفْعَلُونَ مَا لَا يَلِيقُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَ الْأَفْعَالِ فِي مَجَالِسِهِمُ الَّتِي يَجْتَمِعُونَ فِيهَا، لَا يُنْكِرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ،

فَمِنْ قَائِلٍ:-

كَانُوا يَأْتُونَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا فِي الْمَلَأِ

وَ مِنْ قَائِلٍ: -

كَانُوا يَتَضَارَطُونَ وَ يَتَضَاحَكُونَ

وَ مِنْ قَائِلٍ:-

كَانُوا يُنَاطِحُونَ بَيْنَ الْكِبَاشِ، وَ يُنَاقِرُونَ بَيْنَ الدُّيُوكِ، وَ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ يَصْدُرُ عَنْهُمْ، وَ كَانُوا شَرًّا مِنْ ذَلِكَ.

❍تقدم أن لوطا عليه السلام آمن لإبراهيم، و صار من المهتدين به،

و قد ذكروا أنه ليس من ذرية إبراهيم، و إنما هو ابن أخي إبراهيم.

فقوله تعالى:(وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ)

و إن كان عاما، فلا يناقض كون لوط نبيا رسولا و هو ليس من ذريته،

لأن الآية جيء بها لسياق المدح و الثناء على الخليل،

و قد أخبر أن لوطا اهتدى على يديه،

و من اهتدى على يديه أكمل ممن اهتدى من ذريته بالنسبة إلى فضيلة

الهادي، و اللّه أعلم.

فأرسل اللّه لوطا إلى قومه، و كانوا مع شركهم،

قد جمعوا بين فعل الفاحشة في الذكور، و تقطيع السبيل،

و فشو المنكرات في مجالسهم،

فنصحهم لوط عن هذه الأمور،

و بيَّن لهم قبائحها في نفسها،

و ما تئول إليه من العقوبة البليغة، فلم يرعووا و لم يذكروا.

(فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ)

فأيس منهم نبيهم، و علم استحقاقهم العذاب،

و جزع من شدة تكذيبهم له، فدعا عليهم

***وَ هَذَا مِنْ كُفْرِهِمْ وَ اسْتِهْزَائِهِمْ وَ عِنَادِهِمْ؛

وَ لِهَذَا اسْتَنْصَرَ عَلَيْهِمْ نَبِيُّ اللَّهِ فَقَالَ:

(قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ)

فاستجاب اللّه دعاءه، فأرسل الملائكة لإهلاكهم.

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ
إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ
بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن
جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ
إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ
عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد
تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا
فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾
وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

***لِمَا اسْتَنْصَرَ لُوطٌ عليه السلام اللَّهَ عَلَيْهِمْ، بَعَثَ اللَّهُ لِنُصْرَتِهِ مَلَائِكَةً
فَمَرُّوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي هَيْئَةِ أَضْيَافٍ،
فَجَاءَهُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ،
فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا هِمَّةَ لَهُمْ إِلَى الطَّعَامِ نَكِرَهُم،
وَ أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً،
فَشَرَعُوا يُؤَانِسُونَهُ وَ يُبَشِّرُونَهُ بِوُجُودِ وَلَدٍ صَالِحٍ مِنَ امْرَأَتِهِ سَارَّةَ –

وَ كَانَتْ حَاضِرَةً -
فَتَعَجَّبَتْ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ "هُودٍ" وَ"الْحِجْرِ".
فَلَمَّا جَاءَتْ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى،
وَ أَخْبَرُوهُ بِأَنَّهُمْ أُرْسِلُوا لِهَلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ، أَخَذَ يُدَافِعُ لَعَلَّهُمْ يُنظَرون،
لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُمْ،

(وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ)

فمروا بإبراهيم قبل، و بشروه بإسحاق، و من وراء إسحاق يعقوب،

ثم سألهم إبراهيم أين يريدون؟

(قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ)

فأخبروه أنهم يريدون إهلاك قوم لوط، فجعل يراجعهم و يقـــــول:

(قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ)

فـــــ(قَالُواْ)

له

(نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ)

(لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ)

***مِنَ الْهَالِكِينَ؛
لِأَنَّهَا كَانَتْ تُمَالِئُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَ بَغْيِهِمْ وَ دُبُرِهِمْ.

(وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا)

ثُمَّ سَارُوا مِنْ عِنْدِهِ فَدَخَلُوا عَلَى لُوطٍ فِي صُورَةِ شَبَابٍ حِسَانٍ،

فَلَمَّا رَآهُمْ كَذَلِكَ،

{سِيٓءَ بِهِمۡ }

*الميسر:ساءه ذلك؛ لأنه ظنهم ضيوفًا من البشر

❍أَيْ: اهتمَّ بِأَمْرِهِمْ، إِنْ هُوَ أَضَافَهُمْ خَافَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِهِ،
وَ إِنْ لَمْ يُضِفْهُمْ خَشِيَ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ،
وَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَمْرِهِمْ فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ.

❍ثم مضوا حتى أتوا لوطا، فساءه مجيئهم،

(وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا)

بحيث إنه لم يعرفهم، و ظن أنهم من جملة أبناء السبيل الضيوف،

فخاف عليهم من قومه،

*الميسر:و حزن بسبب وجودهم؛ لعلمه خبث فعل قومه،

(وَقَالُواْ)

له: –

(لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡۖ)

و أخبروه أنهم رسل اللّه.

(إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣

إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا)

أي: عذابا

(مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفۡسُقُونَ)

فأمروه أن يسري بأهله ليلا فلما أصبحوا،

قلب اللّه عليهم ديارهم

فجعل عاليها سافلها،

و أمطر عليهم حجارة من سجيل متتابعة

حتى أبادتهم و أهلكتهم،

فصاروا سَمَرًا من الأسمار، و عبرة من العِبر.

***وَ ذَلِكَ أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام اقْتَلَعَ قُرَاهُمْ مِنْ قَرَارِ الْأَرْضِ،
ثُمَّ رَفَعَهَا إِلَى عَنَان السَّمَاءِ، ثُمَّ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ.
وَ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ،
مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ،
وَ هُمْ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْمَعَادِ؛
وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:

(وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةً)

***أَيْ: وَاضِحَةً

❍أي: تركنا من ديار قوم لوط، آثارا بينة

*** وَ جَعَلَ اللَّهُ مَكَانَهَا بُحَيْرَةً خَبِيثَةً مُنْتِنَةً،
وَ جَعَلَهُمْ عِبْرَةً إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ

(لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ)

العِبر بقلوبهم، فينتفعون بها

كَمَا قَالَ{وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ} [الصَّافَّاتِ: 137، 138] .

وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾

أي (و) أرسلنا

(وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ)

القبيلة المعروفة المشهورة

(أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا)

(فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ)

فأمرهم بعبادة اللّه وحده لا شريك له،

و الإيمان بالبعث و رجائه، و العمل له،

***وَ هَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ} [الْمُمْتَحَنَةِ: 6] .

(وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ)

***الميسر :ولا تقيموا عليها**

❍و نهاهم عن الإفساد في الأرض،

بـــــــــــــ:ـ

1–بخس المكاييل و الموازين،

2–و السعي بقطع الطرق،

فكذبوه فأخذهم عذاب اللّه

(فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ)

*الميسر: فأخذتهم الزلزلة الشديدة،

***فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِرَجْفَةٍ عَظِيمَةٍ زَلْزَلَتْ عَلَيْهِمْ بِلَادَهُمْ،
وَ صَيْحَةٍ أَخْرَجَت الْقُلُوبَ مِنْ حَنَاجِرِهَا .
وَ عَذَابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ الَّذِي أَزْهَقَ الْأَرْوَاحَ مِنْ مُسْتَقَرِّهَا،
إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ.
وَ قَدْ تَقَدَّمَتْ قِصَّتُهُمْ مَبْسُوطَةً فِي سُورَةِ "الْأَعْرَافِ، وَ هُودٍ، وَ الشُّعَرَاءِ".

(فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ)

*الميسر:-فأصبحوا في دارهم صَرْعى هالكين.

وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ
وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ
فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

(وَعَادًا وَثَمُودَاْ)

أي: و كذلك ما فعلنا بعاد و ثمود،

***يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ لِلرُّسُلِ
كَيْفَ أَبَادَهُمْ وَ تَنَوَّعَ فِي عَذَابِهِمْ،

فَأَخَذَهُمْ بِالِانْتِقَامِ مِنْهُمْ،

(وَعَادًا)

قَوْمُ هُودٍ،
وَ كَانُوا يَسْكُنُونَ الْأَحْقَافَ
وَ هِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ بِلَادِ الْيَمَنِ،

(وَثَمُودَاْ)

قَوْمُ صَالِحٍ
وَ كَانُوا يَسْكُنُونَ الْحِجْرَ قَرِيبًا مِنْ وَادِي الْقُرَى.
وَ كَانَتِ الْعَرَبُ تَعْرِفُ مَسَاكِنَهُمَا جَيِّدًا،
وَ تَمُرُّ عَلَيْهَا كَثِيراً.

(وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ)

و قد علمتم قصصهم،

و تبين لكم بشيء تشاهدونه بأبصاركم من مساكنهم و آثارهم التي بانوا عنها،

و قد جاءتهم رسلهم بالآيات البينات، المفيدة للبصيرة،

فكذبوهم و جادلوهم.

(وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ)

حتى ظنوا أنها أفضل مما جاءتهم به الرسل.

(فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ)

*الميسر:

فصدّهم عن سبيل الله و عن طريق الإيمان به وبرسله،

(وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ)

في كفرهم وضلالهم، معجبين به،

يحسبون أنهم على هدى و صواب، بينما هم في الضلال غارقون.

وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ

فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم

مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا

بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ

أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ

كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ

ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ

مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ

وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ

فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ

ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ

أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾

وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ

فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ

فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

(وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ)

و كذلك قارون، و فرعون، و هامان

ۖ(وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ)

حين بعث اللّه إليهم موسى بن عمران، بالآيات البينات،و البراهين الساطعات،

فلم ينقادوا،

(فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ)

على عباد اللّه فأذلوهم،

و على الحق فردوه

فلم يقدروا على النجاء حين نزلت بهم العقوبة

(وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ)

اللّه، و لا فائتين، بل سلموا و استسلموا.

(فَكُلًّا)

من هؤلاء الأمم المكذبة

(أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ)

على قدره، و بعقوبة مناسبة له،

(فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا)

أي: عذابا يحصبهم، كقوم عاد،

حين أرسل اللّه عليهم الريح العقيم،

و (سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)

***وَ هُمْ عَادٌ،

وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: مَنْ أشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؟

فَجَاءَتْهُمْ رِيحٌ صَرْصَرٌ بَارِدَةٌ شَدِيدَةُ الْبَرْدِ،

عَاتِيَةٌ شَدِيدَةُ الْهُبُوبِ جِدًّا، تَحْمِلُ عَلَيْهِمْ حَصْبَاءَ الْأَرْضِ فَتَقْلِبُهَا عَلَيْهِمْ،

وَ تَقْتَلِعُهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَتَرْفَعُ الرَّجُلَ مِنْهُمْ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ،

ثُمَّ تُنَكِّسُهُ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ فَتَشْدَخُهُ فَيَبْقَى بَدَنًا بِلَا رَأْسٍ،

كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ

(وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ)

كقوم صالح

***هُمْ ثَمُودُ، قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ وَ ظَهَرَتْ لَهُمُ الدَّلَالَةُ،

مِنْ تِلْكَ النَّاقَةِ الَّتِي انْفَلَقَتْ عَنْهَا الصَّخْرَةُ، مِثْلَ مَا سَأَلُوا سَوَاءً بِسَوَاءٍ،

وَ مَعَ هَذَا مَا آمَنُوا بَلِ اسْتَمَرُّوا عَلَى طُغْيَانِهِمْ وَ كُفْرِهِمْ،

وَ تَهَدَّدُوا نَبِيَّ اللَّهِ صَالِحًا و مَنْ آمَنَ مَعَهُ،

و توعَّدوهُم بِأَنْ يُخْرِجُوهُمْ وَ يَرْجُمُوهُمْ،
فَجَاءَتْهُمْ صَيْحَةٌ أَخمَدَتِ الْأَصْوَاتَ مِنْهُمْ وَ الْحَرَكَاتِ.

(وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ)

كقارون

***وَ هُوَ قَارُونُ الَّذِي طَغَى وَ بَغَى وَ عَتَا، وَ عَصَى الرَّبَّ الْأَعْلَى،
وَ مَشَى فِي الْأَرْضِ مَرَحًا،
وَ فَرِحَ وَ مَرِحَ وَ تَاهَ بِنَفْسِهِ،
وَ اعْتَقَدَ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ،
وَ اخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ،
فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ وَ بِدَارِهِ الْأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

(وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ)

كفرعون و هامان و جنودهما.

***أُغْرِقُوا فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ،
فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ مُخْبِرٌ،

(وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ)

أي: ما ينبغي و لا يليق به تعالى أن يظلمهم لـــــــ:-

كمال عدله، و غناه التام عن جميع الخلق.

(وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)

***جَزَاءً وِفَاقًا بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ.

❍منعوها حقها التي هي بصدده،

فإنها مخلوقة لعبادة اللّه وحده،

فهؤلاء وضعوها في غير موضعها،

و أشغلوها بالشهوات و المعاصي،

فضروها غاية الضرر، من حيث ظنوا أنهم ينفعونها.

مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾

(مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ)

هذا مثل ضربه اللّه لمن عبد معه غيره، يقصد به التعزز و التَّقَوِّي و النفع،

و أن الأمر بخلاف مقصوده،

فإن مثله كمثل العنكبوت، اتخذت بيتا يقيها من الحر و البرد و الآفات،

(وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ)

أضعفها و أوهاها

(لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ)

فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة،

و بيتها من أضعف البيوت،

فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفا،

كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دونه أولياء،

فقراء عاجزون من جميع الوجوه،

و حين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم و يستنصرونهم

ازدادوا ضعفا إلى ضعفهم، و وهنا إلى وهنهم.

فإنهم اتكلوا عليهم في كثير من مصالحهم،

و ألقوها عليهم،

و تخلوا هم عنها، على أن أولئك سيقومون بها،

فخذلوهم، فلم يحصلوا منهم على طائل،

و لا أنالوهم من معونتهم أقل نائل.

فلو كانوا يعلمون حقيقة العلم، حالهم و حال من اتخذوهم، لم يتخذوهم،

و لتبرأوا منهم، و لتولوا الرب القادر الرحيم،

الذي إذا تولاه عبده و توكل عليه، كفاه مئونة دينه و دنياه،

و ازداد قوة إلى قوته، في قلبه و في بدنه و حاله و أعماله.

و لما بين نهاية ضعف آلهة المشركين، ارتقى من هذا إلى ما هو أبلغ منه،

و أنها ليست بشيء، بل هي مجرد أسماء سموها، و ظنون اعتقدوها،

و عند التحقيق، يتبين للعاقل بطلانها و عدمها،

و لهذا قال: (إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ

أي: إنه تعالى يعلم – و هو عالم الغيب و الشهادة–

أنهم ما يدعون من دون اللّه شيئا موجودا، و لا إلها له حقيقة،

كقوله تعالى:(إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ وقوله: وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ)

(وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ)

الذي له القوة جميعا، التي قهر بها جميع المخلوقات،

(ٱلۡحَكِيمُ)

الذي يضع الأشياء مواضعها، الذي أحسن كل شيء خلقه، و أتقن ما أمره.

(وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ)

أي: لأجلهم و لانتفاعهم و تعليمهم،

لكونها من الطرق الموضحة للعلوم،

و لأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة،

فيتضح المعنى المطلوب بسببها، فهي مصلحة لعموم الناس.

(و)

لكن

(وَمَا يَعۡقِلُهَآ)

بفهمها و تدبرها، و تطبيقها على ما ضربت له، و عقلها في القلب

(إِلَّا ٱلۡعَـٰلِمُونَ)

أي: أهل العلم الحقيقي، الذين وصل العلم إلى قلوبهم.

و هذا مدح للأمثال التي يضربها،

و حثٌّ على تدبرها و تعقلها،

و مدح لمن يعقلها،

و أنه عنوان على أنه من أهل العلم،

فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين.

و السبب في ذلك:–

أن الأمثال التي يضربها اللّه في القرآن،

إنما هي للأمور الكبار، و المطالب العالية، و المسائل الجليلة،

فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء اللّه بها،

و حثه عباده على تعقلها و تدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها.

و أما من لم يعقلها، مع أهميتها فإن ذلك:–

دليل على أنه ليس من أهل العلم،

لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة،

فعدم معرفته غيرها من باب أولى و أحرى.

و لهذا، أكثر ما يضرب اللّه الأمثال في أصول الدين و نحوها.

***عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ قَالَ:-
مَا مَرَرْتُ بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَا أَعْرِفُهَا إِلَّا أَحْزَنَنِي،
لِأَنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:

{وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ} .

خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٤﴾

(خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ)

***يَعْنِي: لَا عَلَى وَجْهِ الْعَبَثِ وَ اللَّعِبِ،

هو تعالى المنفرد بخلق السماوات، علـــــى :-

علوها و ارتفاعها و سعتها و حسنها

و ما فيها من الشمس والقمر والكواكب و الملائكة، و الأرض

و ما فيها من الجبال و البحار و البراري و القفار و الأشجار و نحوها،

و كل ذلك خلقه بالحق، أي:-

لم يخلقها عبثا و لا سدى، و لا لغير فائدة،

و إنما خلقها، لـــــــــ:-

يقـــــوم أمره و شرعه،

و لتتم نعمته على عباده،

و ليروا من حكمته و قهره و تدبيره،

ما يدلهم على أنه وحده معبودهم و محبوبهم و إلههم.

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ)

على كثير من المطالب الإيمانية، إذا تدبرها المؤمن رأى ذلك فيها عيانا.

اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

(اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ)

يأمر تعالى بتلاوة وحيه و تنزيله،

و هو هذا الكتاب العظيم،

و معنى تـــــــلاوته:-

اتباعه، بامتثال ما يأمر به،

و اجتناب ما ينهى عنه،

و الاهتداء بهداه،

و تصديق أخباره،

و تدبر معانيه، و تلاوة ألفاظه،

فصار تلاوة لفظه جزء المعنى و بعضه،

و إذا كان هذا معنى تلاوة الكتاب، عُلم أن إقامة الدين كله،

{داخلة في تلاوة الكتاب}

فيكون قوله: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ)

من باب عطف الخاص على العام، لفضل الصلاة و شرفها،

و آثارها الجميلة، و هي

(إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ)

و الفحشـــــــاء:-

كل ما استعظم و استفحش من المعاصي التي تشتهيها النفوس.

و المنكـــــــر: -

كل معصية تنكرها العقول و الفطر.

و وجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر:-

أن العبد المقيم لها، المتمم لأركانها و شروطها و خشوعها،

يستنير قلبه،

و يتطهر فؤاده،

و يزداد إيمانه،

و تقوى رغبته في الخير،

و تقل أو تعدم رغبته في الشر،

فبالضرورة، مداومتها و المحافظة عليها على هذا الوجه،

تنهى عن الفحشاء و المنكر،

فهذا من أعظم مقاصدها و ثمراتها.

و ثَمَّ في الصلاة مقصود أعظم من هذا و أكبر،

و هو ما اشتملت عليه من ذكر اللّه، بالقلب و اللسان و البدن.

فإن اللّه تعالى، إنما خلق الخلق لعبادته،

و أفضل عبادة تقع منهم الصلاة،

و فيها من عبوديات الجوارح كلها، ما ليس في غيرها،

و لهذا قال: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾

و يحتمل أنه لما أمر بالصلاة و مدحها، أخبر أن ذكره تعالى خارج الصلاة

أكبر من الصلاة، كما هو قول جمهور المفسرين،

لكن الأول أولى، لأن الصلاة أفضل من الذكر خارجها،

و لأنها – كما تقدم– بنفسها من أكبر الذكر.

***يَعْنِي: أَنَّ الصَّلَاةَ تَشْتَمِلُ عَلَى شَيْئَيْنِ:-

عَلَى تَرْكِ الْفَوَاحِشِ وَ الْمُنْكَرَاتِ،

أَيْ: إِنَّ مُوَاظَبَتَهَا تَحْمِلُ عَلَى تَرْكِ ذَلِكَ

***وَ لَذِكْرُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ أَكْبَرُ، إِذَا ذَكَرُوهُ مِنْ ذِكْرِهِمْ إِيَّاه

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾

من خير و شر، فيجازيكم على ذلك أكمل الجزاء و أوفاه.

الاعجاز فى ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

الرابط

مقدمة:

استراحة و راحة هي لحظات يقضيها الإنسان عندما يخلو بنفسه فيتأمل في ملكوت الله سبحانه،

و في هذه الصفحات ستكون استراحتنا تأملات في آية من سورة العنكبوت، نقطف منها بإذن الله شيئا من نفحات الإيمان، عبر الإعجاز العلمي الذي ادخره لنا منزّل القرآن،

لنستقي من تلك الينابيع ثمرات اليقين وعبق المتقين.

فقد كان ولا زال القرآن يثرينا بآياته،

وهو الثابت المستمر، ويجدد بنفحاته عزائمنا كلما خفتت جذوة الإيمان،

ففي نفس الكلمات والحروف التي نزل بها القرآن نكتشف فيه الكثير مما لم يدركه سلفنا من المفسرين والعلماء،

وما ذلك إلا دليلاً على عظمته، وإعجازه، لكي تبقى أمة الإسلام حية،

يسوقها بقدرة الله إلى طريق الحق،

فتنهار أمامه وتتبخر كل السحب السوداء التي ما فتئ يضعها في طريقه أعداء الدين والملحدين.

إن اللفظة الواحدة من ألفاظ القرآن تحتمل وجوها متعددة من المعاني،

فما كان يفهمه المفسرون في زمن ما تراه صالحا لمعاني أخرى جديدة يكشف عنها تطور العلوم في زمان آخر،

فمثلاً كلمة الوهن التي وردت في قوله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

[العنكبوت: 41]

كان يفهم منها غير ما فهمه اليوم المتخصصين في علم الحشرات،

و هو ما سأتناوله بالتفصيل إن شاء الله،

و إن كان ما فهموا لا يتصادم مع الفهم الحديث إلا أن ما توصل إليه العلماء اليوم يعتبر تفسيرا جديدا و مكملاً لذلك المعنى،

و حاصل ذلك هو كشفا علميا ومعلومة حديثة كانت خافية على من تقدم من سلفنا وعلمائنا،

و هذا هو الإعجاز العلمي الذي من خلاله يتأكد لنا و لغيرنا أن القرآن حق نطق به العليم الخبير وأنزله منجما على رجل أمي اختاره سبحانه،

ليكون مبلغا عن الله غير كاذب ولا ساحر ولا أفاك.

الوهن في اللغة:

الوهن لغة يعني الضعف،

و هذا المعنى هو الصحيح في لغة العرب بدون خلاف،

فيمكن أن نطلق على كل شيء فيه ضعف في بنائه أو في قوته أو في منظره أو في متانته، أن فيه وهن، قال زكريا عليه السلام:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾ **[مريم: 4].**

يقول الفراهيدي: الوَهْنُ:- الضَّعْفُ في العمل و في الأشياء

و كذلك في العَظْم و نحوه

و قد وَهَنَ العَظْم يَهِنُ وَ هْناً و أَوْهَنَه يُوهِنُه

و رجلٌ واهنٌ في الأمر و العمل،

و مَوْهونٌ في العَظْم و البَدَن(1).

تفسيـــــــر الآية:-

قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 41].

سياق الآية عبارة عن مثل ضربه الله تعالى مشبها به حال المشركين،

و اتخاذهم للشركاء من دون الله كمثل العنكبوت في اتخاذها بيتاً عجيباً في شكله و مادة بنائه.

و فى ضرب الأمثال من تقرير المقصود مالا يخفى،

لأن المثل أعون شيء على البيان،

إذ الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي و الشاهد بالغائب،

و فيه أيضاً تبكيت الخصم،

و لقد كثر في القرآن الأمثال، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: 27]

و قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾

[العنكبوت: 43]

فالأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس

ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد

قال الزمخشري:-

التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني و إدناء المتوهم من المشاهد

- فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله
- و إن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إلا بأمر استدعته حال الممثل له ألا ترى أن الحق لما كان واضحا جليا تمثل له بالضياء و النور

و أن الباطل لما كان بضده تمثل له بالظلمة

و كذلك جعل بيت العنكبوت مثلا في الوهن و الضعف"[2].

فهو أقبح المناهي على الإطلاق قال الله عز وجل:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَايِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الأحقاف: 5]

أي لا أحد أضل منه

و قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: 117]

و قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]

فالشرك أعظم الظلم لأن الظلم هو:-

وضع الشيء في غير موضعه ولا أعظم ظلما من شكاية العبد ربه الذي هو أرحم الراحمين فيما أصابه من ضر أو فاته من خير إلى من لا يرحمه ولا يسمعه ولا يبصره ولا يعلمه ولا يملك لنفسه ولا لداعيه من ضر ولا نفع ولا موت ولا حياة ولا نشور ولا يغني عنه مثقال ذرة وعدوله عمن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ويفزع في قضاء حوائجه إلى من لا قدرة له على شيء البتة،

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ* إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: 13-14].

وصرفه عبادة خالقه الذي خلقه لعبادته وتوحيده ورباه بنعمه الظاهرة والباطنة وحفظه وكلأه بالليل والنهار وحماه من جميع المخاوف والأخطار لمخلوق مثله خلقه الله بقدرته ولم يكن من قبل شيئا

بل هو مسخر مدبر مربوب متصرف فيه الله تعالى بم شاء من أنواع التصرف لا يبدي حراكا ولا ينفك من قبضة الله عز وجل

بل هو خلقه وملكه، مخلوق لعبادته

فيرفعه من درجة العبودية والتأله إلى جعله مألوها معبودا،

هذا والله أظلم الظلم وأقبح الجهل وأكبر الكبائر

ولذا لم تدع الرسل إلى شيء قبل التوحيد ولم تنه عن شيء قبل التنديد

ولم يتوعد الله على ذنب أكبر مما جاء على الشرك من الوعيد الشديد.

وفي الصحيح عن ابن مسعودﷺقلت:

«يا رسول الله أي الذنب أعظم قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك»[3].

وضرب الله سبحانه المثل ليوضح حقارة الشرك لأن الشرك هو اتخاذ ند من دون الله يدعوه كما يدعو الله ويرجوه كما يرجو الله ويخافه كما يخاف الله و يحبه كما يحب الله ونحو ذلك

و هذا هو الشرك الأكبر الذي أرسل الله الرسل

و أنزل الكتب للنهي عنه و تكفير أهله و استباحة دمائهم و أموالهم[4].

و مما جاء بشأن الشرك و بصيغة التمثيل أي تمثيل الشرك بشيء آخر قوله تعالى: ﴿حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31]

و قال الله عز وجل: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: 28]

و في موضوعنا هذا قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 41]

فالمشبه الشرك والمشبه به بيت العنكبوت

و وجه الشبه هو وهن الشرك و هوانه كوهن بيت العنكبوت و هوانه،

و لذلك نجد أن المفسرين قد أخذوا هذا الوجه من التشبيه دون غيره لأنه قد خفي عنهم أوجه أخرى علمها اليوم علماء الطبيعة بعد قرون من نزول الآية الكريمة، فلنتتبع أولاً أقوال المفسرين.

يقول الطبري رحمه الله تعالى:-

يقول تعالى ذكره: مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتيالهم و قبح روايتهم
و سوء اختيارهم لأنفسهم كمثل العنكبوت في ضعفها
و قلة احتيالها لنفسها اتخذت بيتا لنفسها كيما يكنها
فلم يغن عنها شيئا عند حاجتها إليه
فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم -حين نزل بهم أمر الله وحل بهم سخطه- أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئا
و لم يدفعوا عنهم ما أحل الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم(5).

و مثل ذلك يذكر ابن كثير فيقول:-

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ورزقهم ويتمسكون بهم في الشدائد
فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه
فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت
فإنه لا يجدي عنه شيئا
فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء

و هذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله

و هو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع

فإنه متمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها لقوتها و ثباتها[6].

ومثل ذلك قال البيضاوي، عند تفسيره للآية:

﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً﴾

حيث يقول: فيما نسجته في الوهن و الخور

بل ذاك أوهن فإن لهذا حقيقة و انتفاعا ما أو مثلهم بالإضافة إلى رجل بنى بيتا

من حجر و جص،

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾

لا بيت أوهن و أقل وقاية للحر و البرد منه

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

يرجعون إلى علم لعلموا أن هذا مثلهم

و أن دينهم أوهمن من ذلك

و يجوز أن يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل

فيكون المعنى: و إن أوهن ما يعتمد به في الدين دينهم[7].



و من هنا نجد أن الرابط بين الشرك و بيت العنكبوت رابط قوي؛

لأن بيت العنكبوت لا يقتصر على كونه مأوى يسكن فيه،

بل هو في نفس الوقت مصيدة تقع في بعض حبائلها اللزجة الحشرات الطائرة مثل الذباب و غيرها....... لتكون فريسة يتغذى عليها،

كذلك فإن هؤلاء المشركين الذين اتخذوا أنداداً من دون الله تعالى ودعوا الناس إلى أندادهم إنما يدعونهم إلى مصيدة متقنة يكون في دخولها حتفهم وهلاكهم في الدنيا والآخرة،

- فالحذر كل الحذر من أصحاب الدعوات الفاسدة الذين اتخذوا من دون الله أنداداً سواء كان هذا الندّ هـــــو:- المال أو الهوى

- و ذلك من خلال الإشارة إلى خيوطهم الخفية التي يصطادون من خلالها ضحاياهم سواء كانت هذه الخيوط هي المال أو الجنس أو المناصب أو غيرها من الخيوط الخفية والتي ما إن تمسك بالضحية حتى تقضي عليها و تهلكها[8]

بيت العنكبوت من منظور علمي:-



❍كشف العلم مؤخراً أن أنثى العنكبوت هي التي تنسج البيت و ليس الذكر و هي حقيقة بيولوجية لم تكن معلومة إلى وقت قريب

كما كشف العلم أن خيط العنكبـــــوت:–

أقوى من مثيله من الصلب ثلاث مرات

و أقوى من خيط الحرير

و أكثر منه مرونة

فيكون نسيج العنكبوت بالنسبة لاحتياجات العنكبوت وافياً بالغرض و زيادة و يكون بالنسبة له قلعة أمينة حصينة.

و الواقع أن هناك سراً بيولوجياً كشف العلم عنه لنا مؤخراً،

فالحقيقة إن بيت العنكبوت هو أبعد البيوت عن صفة البيت بما يلزم البيت من أمان و سكينة و طمأنينة

- **فالعنكبوت الأنثى :–تقتل ذكرها بعد أن يلقحها و تأكله**

و لهذا يعمد الذكر إلى الفرار بجلده بعد أن يلقح أنثاه

و لا يحاول أن يضع قدمه في بيتها.

- **و الأبنـــــــاء:– يأكلون بعضهم بعضاً بعد الخروج من البيض،**

و تغزل أنثى العنكبوت بيتها ليكون فخاً و كميناً و مقتلاً لكل حشرة صغيرة تفكر أن تقترب منه و كل من يدخل البيت من زوار و ضيوف يقتل[9].

- **و لذلك يظن البعض أن وهن بيت العنكبوت يكمن في وهن خيوطه**

و لكن الوهن في بيت العنكبوت كما رأينا سابقاً هو وهن في العلاقات الاجتماعية و الحيوية في هذا البيت،

علاوة على وهن عدم الحماية من العوامل البيئية الخارجية مثل:–

المطر، و الحر، و البرد، و الشمس، و الأتربة

كما قال بعض المفسرين قديماً[10].

لأن بيت العنكبوت من الناحية المعنوية هو أوهن بيت على الإطلاق

فهو بيت محروم من معاني المودة و الرحمة

التي يقوم على أساسها كل بيت سعيد،

و ذلك لأن الأنثى في بعض أنواع العنكبوت تقضي على ذكرها بمجرد إتمام عملية الإخصاب

و ذلك بقتله و افتراس جسده لأنها أكبر حجما و أكثر شراسة منه،
و في بعض الحالات:- تلتهم الأنثى صغارها دون أدنى رحمة،
و في بعض الأنواع :-تموت الأنثى بعد إتمام إخصاب بيضها الذي عادة ما تحتضنه في كيس من الحرير.

❍و عندما يفقس البيض تخرج العناكب الصغار فتجد نفسها في مكان شديد الازدحام بالأفراد داخل كيس البيض،
فيبدأ الإخوة الأشقاء في الاقتتال من أجل الطعام
أو من أجل المكان أو من أجلهما معا
فيقتل الأخ أخاه و أخته،
و تقتل الأخت أختها و أخاها
حتى تنتهي المعركة ببقاء عدد قليل من العنيكبات التي تنسلخ من جلدها،
و تمزق جدار كيس البيض لتخرج الواحدة تلو الأخرى،
و الواحد تلو الآخر بذكريات تعيسه،
لينتشر الجميع في البيئة المحيطة
و تبدأ كل أنثى في بناء بيتها،
و يهلك في الطريق إلى ذلك من يهلك من هذه العنيكبات،
و من ينجو منها نفس المأساة التي تجعل من بيت العنكبوت أكثر البيوت شراسة و وحشية، و انعداما لأواصر القربى[11].
لأن أضعف بيت، بيت غابت منه المودة والرحمة:

فالأنثى تأكل الذكر عقب التلقيح والسفاد،

والأبناء يأكلون أمهم بعد اشتداد عودهم،

و يهرب منه الذكر خوفاً على حياته،

فهو بيت يقوم على المصالح والمنافع المادية الدنيوية المؤقتة،

فإذا انتفت المصالح، وانتهت المنافع، ساءت العلاقة فيه بعد ذلك،

فالأنثى تغازل الذكر وتغريه وترحب به وتتزين له عندما تحتاج إلى سفاده فقط،

وتحاول القضاء عليه بعد ذلك،

فيهرب الذكر حفاظاً على حياته من افتراس الأنثى و فكوكها القاتلة و السامة.

بيت يظل الصغار فيه هادئين، مطيعيين في كنف الكبار،

حتى إذا اشتد عودهم وقويت فكوكهم وتوفرت سمومهم عقوا الكبار

و عقروهم و أكلوهم،

و حيث أن الأب هارب من ظلم الأم، فهم يأكلون أمهم،

و هذا مثال للبيت الذي يطرد منه الابن أمه وأباه،

و قد يقتلهما لإفساح المكان لزوجته وأولاده.

بيت العنكبوت: فيه الذكر للسفاد (التلقيح) و المعاشرة الجنسية، و الأكل،

و الراحة،

فإذا احتاج إلى ذلك دخل البيت، و مارس دور الذكر،

حتى إذا قضى وطره، فر هارباً خائفاً مذعوراً،

فهو بيت القوامة فيه للأنثى،

فهي التي تبنيه و تسمح للذكر بالدخول فيه،

و تفضل الحياة فيه بعيداً عن قيد الذكر،

و إذا أراد البقاء فيه فهو مهدد ذليل[12].

حيث يقتصر دور الذكر على التلقيح و الارتماء عند قدمي الأنثى كي "تأكله" بعد انتهاء عملية التزاوج،

و هذا المصير المخيف جعل بعض المفسرين يرون أن المقصود في الآية الكريمة هو وهن البيت من الناحية الاجتماعية والأخلاقية لا المادية والميكانيكية؛

فبالمقارنة حتى مع عالم الحشرات يعد بيت العنكبوت أوهن البيوت من الناحية الأسرية وأكثرها أنانية وشراسة؛

فالأنثى تأكل الذكر بعد التلقيح

و قد تأكل أبناءها بعد خروجهم من البيض كما الإخوة بعضهم البعض كلما سنحت لهم الفرصة[13].

الجدير بالذكر أن كلمة العنكبوت وردت في الآية الكريمة بصيغة التأنيث لا التذكير: ﴿اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: 41]

فالعلماء لم يكتشفوا إلا مؤخرا أن أنثى العنكبوت هي من يقوم بفرز المادة الحريرية وجدل الخيوط وغزل الشبكة،

وكلمة ﴿اتَّخَذَتْ﴾

لا تشير فقط إلى أنثى العنكبوت بل و إلى وجود عملية بناء حقيقية تقوم بها

بغرض السكن و التفريخ[14].

البيت والخيط:

كل مخلوق و كل دابة من الدواب و كل حشرة من الحشرات

هيأ الله تعالى لها وأوحى لها أن تصنع بيتها من مادة من المواد

فالإنسان يبني بيته بمواد عدة،

فتارة من جلود الأنعام وتارة من الصوف والشعر

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: 80]

وتارة من الطين وتارة من الخرسانة وتارة من الحديد

وربما من الخشب وغيره،

لأن الله أكرمه وأعطاه العقل وسخر له كل شيء،

والنحلة اتخذت من الجبال بيتا وبنت بيتها بالشمع

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: 68]

وهكذا فجميع ما خلق الله تعالى يسر له أسباب العيش الذي يناسبه من بيت ومأكل،

وسخر له المادة المناسبة لعمل بيت له يحميه من عوامل الطبيعة القاسية،

فنرى الطير كيف يبني بيته بأعواد الأشجار الصغيرة وبإحكام عجيب،

ليكون ذلك البيت (العش) بعد ذلك ملاذاً له ولأبنائه،

والنملة الصغيرة كذلك تحفر في الأرض الأمتار الطويلة

وتجعله تجاويف بأبعاد مختلفة لتدخر فيه القوت والحبوب،

ولتأوي إليه عند المطر واشتداد الرياح وهجوم الخطر

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: 18].

إلا أن العنكبوت اتخذت بيتا مغايرا تماما

فهو من خيط تنسجه أو تنتجه بنفسها و من داخلها،

فتنسج منه بيتا أشبه بشبكة الصيد

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

إن بيت العنكبوت هو من الناحية المادية البحتة أضعف بيت على الإطلاق،

لأنه مكون من مجموعة خيوط حريرية غاية في الدقة تتشابك،

مع بعضها البعض تاركة مسافات بينية كبيرة في أغلب الأحيان،

و لذلك فهي لا تقي حرارة شمس، ولا زمهرير برد، ولا تحدث ظلاً كافياً،

ولا تقي من مطر هاطل، ولا من رياح عاصفة،

ولا من أخطار المهاجمين، وذلك على الرغم من الإعجاز في بنائها[15].



وهنا إشارة صريحة إلى أن الوهن والضعف هو في بيت العنكبوت وليس في خيوط العنكبوت،

فخيوط بيت العنكبوت حريرية دقيقة جدا

يبلغ سمك الواحدة منها في المتوسط واحداً من المليون من البوصة المربعة،

أو جزءاً من أربعة آلاف جزء من سمك الشعرة العادية في رأس الإنسان،

و هي على الرغم من دقتها الشديدة فهي أقوى مادة بيولوجية عرفها الإنسان حتى الآن،

و تعتبر الخصلات الحريرية التي تكون نسيج العنكبوت أقوى من الفولاذ،

و لا يفوقها قوة سوى الكوارتز المصهور،

و يتمدد الخيط الرفيع منه إلى خمسة أضعاف طوله قبل أن ينقطع،

و لذلك أطلق العلماء عليه اسم "الفولاذ الحيوي" أو "الفولاذ البيولوجي"،

و هو أقوى من الفولاذ المعدني العادي بعشرين مرة،

و تبلغ قوة احتماله (300.000) رطلا للبوصة المربعة،

فإذا قدر جدلا وجود حبل سميك بحجم إصبع الإبهام من خيوط العنكبوت فيُمْكِنه حَمل طائرة "جامبو" بكل سهولة[16].

هذه الحقائق المدهشة تدفعنا للتساؤل عن كيفية التوفيق بين وهن البيت في الآية الكريمة وقوة المادة التي يبنى منها،

و كيف يجتمع في منشأة واحدة الحد الأدنى من الوهن والهشاشة والحد الأقصى من القوة والمرونة!؟[17].

وجه الإعجاز:

إن وصف بيت العنكبوت بأنه أوهن البيوت فيه دلالة واضحة على إعجاز القرآن و أنه من عند الله،

حيث لم يقل القرآن خيط العنكبوت أو نسيج العنكبوت،

لأن الخيط بذاته له صفات خاصة تجعله من الخيوط القوية،

و هذا ما بيناه في فقرة بيت العنكبوت من منظور علمي،

و إنما قال بيت العنكبوت،

و لعل التفريق بين وهن البيت و قوة المادة التي يبني منها يثبته استعمال الآية الكريمة لكلمة (بيت) و ليس (خيطاً) أو (شبكة)،

ليبقى القرآن يسطر لنا آيات وبينات معجزة، تخرس لها الألسن الحداد، وتذهل لها العقول المنصفة.

كما حدثتنا الآية عن وهن بيت العنكبوت، فيخطر في بال سامعها لأول وهلة

المنظر المتهالك المقزز لبيت العنكبوت والذي تشمئز منه النفس،

غير إنه لا يخطر في بالنا

و لا يمكن أن يخطر ساعة سماع الآية أن الوهن يمتد ليشمل بعدا آخر

و فهما جديدا و معرفة قد خفيت على من سبقنا في العصور الماضية،

ذلك الفهم والمعنى هو السلوك الداخلي للعنكبوت و وهن بيتها من الناحية الأخلاقية و الاجتماعية،

بيت لا يقطن فيه إلا الموتى من أصناف الفرائس التي انقضت عليها العنكبوت الأنثى،

فلا أولاد يعيشون في دفئ أحضان الأم

و لا أب يدير أمور البيت ولا أم لها قلب الأمومة،

و لا بيت يحمي ساكنه من عاتيات الزمان،

تنخر فيه الريح و تمزقه أدنى قطرات المطر،

لا يستر من داخله و لا يدفع الباغي من خارجه،

بل أنشأته الأنثى للبغي و القتل و الدمار،

فبئس البيت هو بيت العنكبوت و نعم الوصف الإلهي له بأنه

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ **[العنكبوت:41].**

هذه الحقائق لم تكن معروفة لأحد من الخلق في زمن الوحي،

حيث لم تكتشف إلا بعد دراسات مكثفة في علم سلوك حيوان العنكبوت

استغرقت مئات من العلماء لعشرات من السنين حتى تبلورت في العقود

المتأخرة من القرن العشرين، ولذلك ختم ربنا تبارك وتعالى الآية الكريمة بقوله:

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

و على ذلك فإن الوصف القرآني لبيت العنكبوت بأنه أوهن البيوت،

لم يكن نتيجة مشاهدة عابرة لبيت العنكبوت

و هو يتمزق نتيجة الرياح العاتية،

و لم يكن من نسج خيال إنسان عكف على دراسة سلوكيات الحشرات في تلك الأزمان الغابرة،

إنه وصف نزل به الروح الأمين على لسان رسول كريم،

في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين من قبل ألف وأربعمائة سنة،

فهو إذن سبقا علميا لا يمكن لعاقل أن يتصور له مصدرا غير الله،

حتى يبقى هذا الكتاب العزيز حجة على الناس كافة إلى يوم الدين،

و يبقي ما فيه من الحق شاهداً على أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق،

و شاهدا كذلك بالنبوة و بالرسالة للنبي الخاتم و للرسول الذي تلقاهﷺ[18].

وليس العجب في أن نكتشف إعجازا علميا في زمن العلم والتكنولوجيا،

و لكن العجب ممن لا يعقل هذه الآيات فيصر مستكبرا كأن لم يسمعها

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: 7].

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه،

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين

و الحمد لله رب العالمين.

إعداد: قسطاس إبراهيم النعيمي.

مراجعة: علي عمر بلعجم 8/ 12/ 2007م(Î)

---

(1) كتاب العين 4/ 92.

(2) البرهان في علوم القرآن 1/ 488.

(3) معارج القبول 2/ 458.

(4) شرح قصيدة ابن القيم 2/ 266.

(5) تفسير الطبري10/ 142.

(6) مختصر ابن كثير 3/ 47.

(7) تفسير البيضاوي، بتصرف 1/ 316.

(8) آية في القران الكريم تشير إلى حقيقة علمية دقيقة عن بيت العنكبوت كأسرة مدمرة من الداخل، بحث للدكتور زغلول النجار تم نشره في جريدة الأهرام أخذا من بتصرف:الرابط

(9) أخذا من:الرابط

(10) بيت المسلم وبيت العنكبوت معجزة علمية، الدكتور نظمي خليل، أخذا من:الرابط

(11) بيت العنكبوت، أخذا من:الرابط

(12) المرجع السابق بتصرف.

(13) آية في القران الكريم تشير إلى حقيقة علمية دقيقة عن بيت العنكبوت كأسرة مدمرة من الداخل، بحث للدكتور زغلول النجار تم نشره في جريدة الأهرام أخذا من:الرابط

(14) آية في القران الكريم تشير إلى حقيقة علمية دقيقة عن بيت العنكبوت كأسرة مدمرة من الداخل، بحث للدكتور زغلول النجار تم نشره في جريدة الأهرام أخذا من: الرابط

(15) المرجع السابق.

(16) بيت العنكبوت، أخذا من:

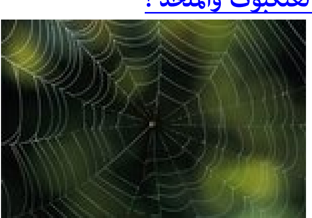
(17) آية في القران الكريم تشير إلى حقيقة علمية دقيقة عن بيت العنكبوت كأسرة مدمرة من الداخل، بحث للدكتور زغلول النجار تم نشره في جريدة الأهرام أخذا من:الرابط

(18) المصدر السابق.

من موقع الكحيل

الرابط

العنكبوت والملحد !



إنه تشبيه غريب انتقده الملحدون ولكن الأبحاث العلمية أثبتت دقة آيات القرآن، لنقرأ هذا البحث ونحمد الله تعالى....

قال تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [العنكبوت: 41].

هذه آية عظيمة لا يزال العلماء يكشفون جانباً من أسرارها العلمية،

وفي هذه المقالة نعيش مع حقائق تثبت دقة كلمات القرآن العظيم،

وترد على كل ملحد يدعي أن القرآن كلام بشر.

سوف نكتشف الآن أن بيت العنكبوت بالفعل هو أضعف البيوت في الطبيعة،

ليس من الناحية البنائية فحسب، بل من الناحية الاجتماعية أيضاً.

وهن البيت:-

بيت العنكبوت هو الأضعف على الإطلاق.

فجميع المخلوقات تبني بيوتاً متينة وتتحمل عوامل الطقس إلا العنكبوت الذي يبني بيته في العراء وهو معرض لكل العوامل الطبيعية من مطر ورياح ورطوبة...

وربما نجد أغرب أنواع البيوت ما يخصّ عنكبوت الماء!

عنكبوت الماء يقضي كل حياته تحت سطح الماء

ليجمع فقاعات الهواء و يملأ بها بيته المنسوج على سطح الماء ويتنفس من هذا البيت،

إن وجود شعيرات صغيرة تغطي جسم العنكبوت تساعده على تجميع فقاعات الهواء....

فانظروا معي إلى هذا البيت الذي هو عبارة عن فقاعات هواء تزول تحت أي تأثير!



يمكث عنكبوت الماء كل حياته تحت سطح الماء ويبني بيته من الفقاعات!!

ولذلك فإن هذا البيت من أضعف البيوت في الطبيعة،

حيث نجد أن كل الكائنات تبني بيوتها بشكل متين ومحكم،

ولكن عنكبوت الماء يبني بيته ولا يستمر إلا ساعات أو أيام ثم يتلاشى فيبني غيره وهكذا،

ويعيش وحيداً طيلة عمره!

وهن الهندسة:-

معظم الكائنات والحشرات تبني أعشاشها وبيوتها بطريقة ثلاثية الأبعاد،
على عكس العنكبوت الذي يكون بيته في معظم الحالات ثنائي الأبعاد أو مسطح.
بل إن بيت العنكبوت يتأثر بعوامل الحرارة والرطوبة والرياح
وبالتالي يفقد مرونته بعد يوم من بنائه،
مما يضطر العنكبوت لأكله من أجل صناعة خيوط جديدة، تصوروا أن العنكبوت يأكل بيته!



يفكر العلماء في صنع كميات كبيرة من نسيج العنكبوت لاستخدامها كدروع واقية أو في صناعة الطائرات والصواريخ، ولكنهم فشلوا لأن العملية تتطلب جمع كميات كبيرة من العناكب في مكان واحد لإنتاج هذا الكم الكبير من الخيوط.
ولكن عندما نضع عدة عناكب في مكان واحد تبدأ بأكل بعضها البعض!
فالعناكب لا تحب التعاون ولا تحب التضحية.

وهن الأسرة:-

الأم يمكن أن تأكل زوجها أو أولادها أو أي عنكبوت آخر مثل الأخ والأخت و الأب والأم...!

إنها حياة مفككة لأبعد الحدود تشبه حياة الملحد الذي فقد الإيمان بالخالق وأوكل أمره للدنيا .

ولو تأملنا اليوم دول الغرب وما تعانيه من تفكك أسري نتيجة فقدان الروابط الاجتماعية والأسرية بينهم، حتى إننا نجد الأب لا يعترف على ابنه والابن ينكر أمه ... وهكذا.

وهن الحياة الاجتماعية:-

سمعنا كثيراً عن مجتمع النمل ومجتمع النحل ومجتمع الجراد...

ولكن المخلوق الوحيد الذي يعيش منفرداً هو العنكبوت ولا يعيش ضمن مجتمعات منظمة.

العنكبوت لا يحب التعاون ولا يحب التضحية أو الإيثار أو حب الخير للآخرين

بعكس مجتمع النمل والنحل التي تدافع عن بعضها حتى الموت!

وهن الزواج:-

بعض أنواع العناكب مثل الأرملة السوداء

فإن الزوجة تأكل الزوج بعد إتمامه عملية التلقيح! ولذلك فإن الزوج يهرب على الفور.

فتخيلوا معي هذه الحياة الزوجية التعيسة وهذا المصير الأسود للزوج.

يقول العلماء إن ظاهرة العنكبوت فريدة من نوعها في عالم الكائنات الحية.

وهن الخيوط:-

يقول العلماء إن خيط العنكبوت أصلب من الفولاذ بخمس مرات على الأقل !

وعلى الرغم من ذلك يتمزق بسهولة لماذا؟

لأن العنكبوت لا يمكن أن يصنع خيطاً سميكاً بل إن الخيوط رفيعة جداً ،

وأرفع من شعرة الرأس بعشر مرات!

ولو أن الله تعالى قال: "أوهن الخيوط"، لكان هناك خطأ علمي

و لكنه قال: (أَوْهَنَ الْبُيُوتِ)

و بالفعل هذا التعبير دقيق من الناحية العلمية، فسبحان الله القائل عن نفسه:

(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا) [النساء: 87].



صورة بالمجهر الإلكتروني للغدد الموجودة على جسم العنكبوت لإفراز الحرير من خلال بروتينات خاصة، الحرير يكون في حالة سائلة ويتصلب بعد ملامسته للهواء.
إن العنكبوت مهندس بارع ولكن للأسف هندسته هشة جداً.

أوجه التشابه بين الملحد والعنكبوت:-

- هناك 37000 نوع من العناكب تعيش على الأرض.

إن العلماء لا يزالون عاجزين عن تقليد خيط العنكبوت،

فهذا المخلوق لديه هندسة رائعة في التصميم والبناء، تماماً مثل (((الملحدين)))

الذين اهتموا بالدنيا و أهملوا الآخرة، فأعطاهم الله الدنيا وحرمهم من الآخرة.

-و يقول العلماء هناك تناقض عجيب في خيوط العنكبوت،

فعلى الرغم من أن خيط العنكبوت قوي جداً إلا أن بيته ضعيف جداً!!

كذلك الملحد تجده متناقضاً في أفكاره:-

فإذا سألته من الذي خلق الكون قال المصادفة،

وإذا قلتَ له إن هذه السيارة مثلاً وُجدت بالمصادفة سخر منك!!

فكيف يتقبل عقله أن الكون وجد بالمصادفة

وأن اختراعات بشرية بسيطة لا يمكن أن توجد بالمصادفة !

- العنكبوت يتمتع بنظر ضعيف.... فليس لديه بعد نظر:-

و لا يرى أكثر من سنتمترات معدودة، تماماً مثل (((الملحـــــــد)))

الذي لا يرى إلا الدنيا وهو عن الآخرة من الغافلين.

- العناكب مخلوقات شرسة و مفترسة.و معظمها سامة تبث سمومها لمن يقترب منها...

و كذلك (((الملحـــــــد))) [يبث أفكاره ليسمم المجتمع]

و ليس غريباً أن نرى أعلى نسبة للانتحار في العالم بين صفوف الملحدين!.



سماكة خيط العنكبوت 0.001 – 0.004ملم أي واحد بالألف من المليمتر.
وهو مرن جداً حيث يمكن أن يمتد ل 140 % من طوله.
ويقول العلماء: سمك الخيط أقل بثلاثين مرة من سمك شعرة الإنسان.
ومساحة المقطع العرضي لخيط العنكبوت أقل بألف مرة من مساحة المقطع العرضي لشعرة الإنسان، وإذا أردت أن تتخيل الفرق بين شعرة الإنسان وبين خيط العنكبوت
فتخيل الفرق بين الحبل والخيط.

حياة العنكبوت وحياة الملحد:-

أحبتي في الله! سوف نبتعد عن العبارات "العاطفية"

فلا نقدح بالملحدين ولكن نسرد لهم حقائق علمية ونفسية لا يمكن إنكارها،

لندرك دقة المقارنة الإلهية بين الذين اتخذوا من دون الله أولياء وبين العنكبوت.

سوف نتأمل هذه الإحصائيات الغريبة

وهي بأقلام الملحدين أنفسهم ونقارن بين الضعف الذي يعيشه الملحد وبين وهن العنكبوت.

فالغرب اليوم في معظمه غير مسلم، و هو مزيج من: –

الملحد و يشكل نسبة كبيرة، – اللا ديني و نسبتهم كبيرة جداً –

و مجموعة من الديانات الشركية –

و الجميع قد اتخذ من دون الله أولياء،

فجعل الدنيا همه وجعل الشيطان قدوته وجعل المال شريكاً لله تعالى،

وبالتالي تنطبق هذه الآية عليه بنسبة كبيرة.



الأرملة السوداء أحد أنواع العناكب السوداء السامة التي تأكل زوجها بعد المعاشرة الجنسية، ولذلك سمّيت أرملة. إنها تأكل أي شيء فلا تعرف الرحمة أو الشفقة حتى على أبنائها، فتصوروا معي هذا المخلوق التعيس!

هل تعلمون يا أحبتي أنه في دولة مثل أمريكا هناك 300 ألف جريمة اغتصاب كل عام (حسب وزارة العدل الأمريكية) [1]

وأنه هناك جريمة اغتصاب بمعدل كل دقيقتين [2]!!!...

تصوروا هذا المجتمع المفكك الذي هدم كل الروابط الاجتماعية ... تماماً مثل العنكبوت!

- هل تعلمون أن 17.6 % من نساء أمريكا تعرضن للاغتصاب مرة على الأقل في حياتهن!

وهل تعلمون أن أكثر من 20 % منهن طفلات لم تتجاون سن 12 سنة!!

وهل تعلمون أن ربع طالبات الجامعة في أمريكا تعرضن للاغتصاب أو محاولة الاغتصاب خلال فترة الدراسة (Fisher 2000).

الإحصائيات تخبرنا أنه كل 15 ثانية هناك امرأة في أمريكا يُعتدى عليها جنسياً أو بالضرب من قبل شريكها أو صديقها [3].

وتخبرنا أيضاً أن 20 % من الفتيات يتم اغتصابهن في سن المراهقة [4].

وهل تعلمون أن حالات اغتصاب الأطفال تقدر بعشرات الآلاف سنوياً في أكثر دول العالم تقدماً!!

وسبحان الله بعد كل هذا يتكلمون عن حالة زواج إسلامية لفتاة بعمر تسع سنوات أو عشر! إنهم ينتقدون تعاليم الإسلام وينسون نتائج إلحادهم التي جعلت المجتمع الغربي أكثر المجتمعات تفككاً.

ملخص:-

ونلخص إعجاز الآية الكريمة (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)فيما يلي:-

1- لقد حددت الآية أن العنكبوت الأنثى هي التي تبني البيت وليس الذكر فقال: (اتَّخَذَتْ) ولم يقل "اتخذ". وهذه الحقيقة العلمية لم يكن لأحد علم بها زمن نزول القرآن.

2- إن أضعف بيت في الطبيعة هو بيت العنكبوت ولذلك قال تعالى:

(وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ)،

وهذه المعلومة كانت مجهولة قبل مجيء العصر الحديث.

3- لقد حددت الآية أن بيت العنكبوت هو الضعيف وليس خيطه،

وهذه دقة علمية تشهد على إعجاز هذا القرآن. فالحمد لله على نعمة الإسلام. ( )

---

[1] (Full Report of the Prevalence, Incidence, and Consequences of Violence Against Women, Findings from the National Violence Against Women Survey, November, 2000).

[2] (Rape, Abuse and Incest National Network (RAINN) calculation based on 2000 National Crime Victimization Survey. Bureau of Justice Statistics, U.S. Department of Justice).

[3] (UN Study On The Status of Women, Year 2000).

[4] (New York Times, 8/01/01).
[5] National Geographic.
[6] R.F. Foelix, Biology of spiders, Oxford university press, 1996.
[7] The Wonders of Spider Silk, www.earthlife.net
[8] A SPIDER'S WEB, The University of Houston's College of Engineering, www.uh.edu